مشروع إعداد نسخة إلكترونية
لحولية كلية اللغة العربية بالمنوفية
إعداد وتنفيذ
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في الكلية

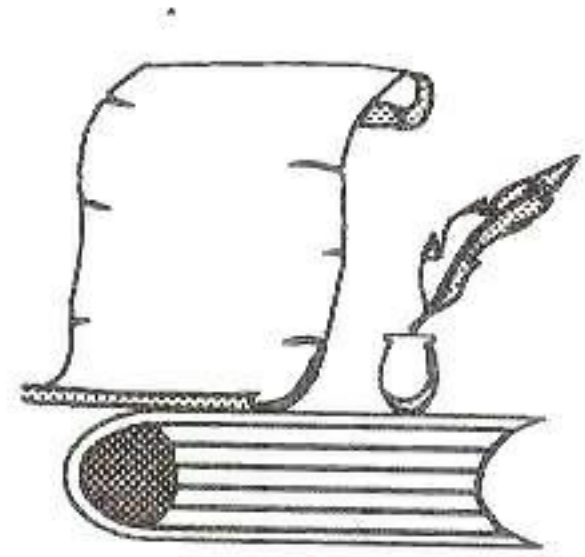

الأدب الأندلسي
بين
حقيقته ومحاوله اغتياله

بقلم الدكتور
عبد الله بن على بن ثقفان
أستاذ الأدب الأندلسى المشارك
كلية اللغة العربية ـ قسم الأدب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد السابع عشر (المجلد الأول)، مطبعة الحرمين ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل:

كانت الأندلس تمثل اللقاء بين الشرق والغرب، وهو لقاء تم فيه تعايش وتماذج العـديد من العناصر والأجناس بين عرب وبربر وإسبان وصقالبة ومسيحـيين ويهود. إنه لقاء نشأ عن تأثير متبادل فى الأخلاق والأذواق والعادات مما أوجد حـضارةً لها طابع خاص(١)، لكن مادتهـا عربية ولسانهـا عربى، فهى إذن حـضارة عربية خـالصة لم تكن كـتلك التى نشـأت فى مصـر أو سـورية أو العراق أو فـارس(٢)، ففى الأندلس لم تواجه الحضارة العربية حضارة أخرى تصمد أمامها، ومن هنا لم يجد العرب شيئا يستحق العناية ليُتَرجم أو يُقَلد ومن ثم يقدَّم(٣).

إن الحضارة العربية فى الأندلس لم تـكن قد بنيت على أساس غير غربى كـالفارسى أو الإغريقى أو غيـرهما(٤)، ومن هنا نجد أن الأجناس الأخرى غير العربية فى الأندلس قد انبـهرت أمام ما وفد إليها من المشرق مع الفاتحين، ليس فى دينهم ولغتهم فـحسب، بل إن أولئك الوافدين قد نقلوا مـعهم مـا عـايشوه فى صـحـرائهم من علاقـات تتـسم بالمنافسـة والعصبـية، فكانت تلك المنافسة صورة لأصل سـابق كان فى الجزيرة من قبل، وهى منافسـة كانت دافعا لوجود صورة لأدب قـد كان من قبل مما أدّى إلى ظهور أدب مشرقى على تراب أرض جديد.

إن الأدب الذى ظهـر على تراب الأرض الأندلسـيّة فى البـداية هو (أدب مشرقى بحت) تغنى به الوافـدون، متخذين منه وسيلة للتـعبير عن الحنين أو الشـوق أو الوقـوف مع أو ضـد بعـضـهم، بينمـا أهل البـلاد

الأصليين من أعاجم وغيرهم قد شغلوا بتعلم العربية، فهى لغة ـ القرآن، وهى اللغة التى بها يعرفون دينهم وما يتوجب عليهم(٥).

مـرت السنون، فكان تمازج الـعناصـر التى تشكل منهـا المجتـمع الأندلسى قد أدى إلى ظهور نبتة جديدة تمثل جيلا نشأ على تراب الأرض الأندلسية وتثقف بالحضارة العربية بعد أن قعد مقاعد الدّرس والتحصيل. ولأن هذه هى حالة الأنـدلس فى بدايتها، فـإن الأدب الذى تشكل فيـها قبل سنة (٢٠٧ هـ) هو أدب لم ينشأ من فراغ، بل نشـأ عن حاجة فردية واجتماعية جعلته فى بدايته يمثل وجوداً لاحقًا لوجود قبلى(٦)، لكن تلك التبعيّـة لم تدم طويلا، فبعد تكون الأسباب الداعيـة لظهور حركة فكرية نشطة فى بلاد الأندلس ككثـرة العلمـاء والمكتبـات والمتـعلمين بدأ الفكر الأندلسى الاعتمـاد على الذات، ولكن بطريقة ترتيبية منظمـة عبَّرت عن عقلية منظمة، وهى عقلية لم تتوقف على الفكر فحسب، بل تعدَّت ذلك إلى الحـياة العامـة، فانتظـمت الحياة فـكرًا ومعايـشة الأمر الذى جـعل الأندلس (زينة الدنيـا)(٧) إذ عُمِّرت الأرض بكل ما تعنـى الكلمة، فقد كانت قرطبة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) أكبر مـدينـة فى أوروبا(٨)، إذ حوتّ أكثر مـن ثمان وعشرين ضاحيـة، فيها العديد من القـصور والملاهى والحدائق العامة «حـيث يستظل الناس تحت أشجار الزيتـون والنخيل والأعناب والسرو..»(٩)، كما حـوت أكثر من مائتى ألف منزل، وأكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة مسجد، وسبعمائة(١٠) حَمام وأكـثر من ٨٠ مدرسة، و(١٧) مـدرسة عليا، وأكثـر من عشرين مكتبة عامة فيها عشرات الآلاف من الكتب(١١)، قالت هونكه: «إذا كان ذلك كله فى قـرطبة وحـدها، فإن هذا لم يكن فى المدن الأوروبيـة، بل

إنها لا تملك مـدرسة عليا أو مـستشـفى، كما ندر فيـها وجود المكتـبات العامة والحمامات، ولم تعـرف أوروبا آنذاك الشوارع المرصوفة، بل كانت شوارعهـا ملأى بالقاذورات والوحل، بل إنه عندما أضيـئت شوارع ألمانيا فى بداية القـرن التـاسع عشـر الميـلادى بمصابيح الـغاز وصـفت الوضع صحيفة «كولونيا الألمانية» بأنه شر مستطير يهدد الظلام الآلهى فى حين أن شوارع قرطبة كـانت مضاءة فى القرن العاشر بمصابيح مثـبتة على حيطان المنازل، وفوق ذلك تُباشر فـيها أعمال النظافة عن طريق عـربات القمامة التى تجرها الثيران، أما (باريس)، فقـد اتخذت من قرطبة أنموذجا لها فى التنظيم، فرصفت شـوارعها بعد مرور أكثر من عـشرة قرون على رصف شوارع قرطبة(١٢).

إن العـبرة هنا «ليـست فى بناء يقام وبلد يُعـمَّر ونهـر يُشق وأرض تُفلح، ولكن الشأن فى فلسفة ذلك جـميعه»(١٣) ليتـحول إلى أدب حى متحـرك كحركة الأرض، متطور كتطـور الحياة، يجذب الانتباه إليـه كما جذبت (قرطبة) آلاف الناس إليها، يقـول (الحجازى): «كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع علماء الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية، وفيـها تمخضت خلاصـة القبائل وإليهـا كانت الرحلة فى رواية الشعر، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء»(١٤):

باربع فـاقت الأمـصـار قـرطبـة منهن قنطرة الوادى وجـامـعُـهـا
هاتان ثنتـــان والـزهـراء ثالثـــة والعلمُ اعظم شىء وهو رابعها(١٥)

إن التـألق الحضـارى الذى عاشـته بلاد الأندلس قـد أدى إلى تألق اقتصـادى، فقد كانت تلك البلاد تعد واحـدة من الدول الخمس المعدودة فى العالم إذ ذاك، وهى(١٦):

- الخلافة العباسية فى بغداد.
- والفاطمية فى مصر.
- والإميراطورية البيزنطية فى القسطنطينية.
- والمملكة الإفرنجية فى غربى أوروبا.

كـمـا أدى إلى تألق أدبى حكاه الواقع، كـمـا حكتـه الكتب التى نقرأها، والدراسات التى نعدها.

إن التطور الذى حصل فى الأندلس، فشمل شتى مـيادين الحياة قد انتهى إلى (مـأساة) مفـجعة تم فـيها القـضاء على أكثـر من (٣ ملايين) أندلسى، خلاف المستبعدين ـ والمنصّرين بالقوة أو من أُغرق فى البحر، أو هرب إلى شمال إفريقية(١٧)

إن الأندلس قد فُقِدت بكل ما حوت، ولكن الحلم ما زال متوارثًا، فلا نجـد مؤلفًا أو كاتـبًا من سلفنا يذكر مـدينة من مدن الأندلس دون أن يشفع ذلك بهـذا الدعاء: «أعـادها الله دار إسلام»(١٨)، ومـا دام الحلم ملازمًـا للإنسان، فـإن أهل الأندلس الذين بالمغرب مـا زالوا محـتفظين بمفاتيح دورهم يتوارثونها أملا بالعودة إليها(١٩):

مـا كـان ذاك المصـر إلا جنة ... للحـسن تجـرى تحـتـه أنهـاره
طابت بطيب بهـاره آصـاله ... وتعطرت بنسـيـمـه أشـجـاره
قـد كـان يشـرق بالهـداية ليله ... والآن أظلم بالضـلال نهـاره
ودجـا به ليل الخطوب بصـبـحـه ... أعـيـا على أبصارنا إسـفـاره(٢٠)

هوامش المدخل وتعليقات

(١) انظر: العرب فى الأندلس، ص٨٩ .

(٢) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب، ص٤٧٤ .

(٣) انظر: الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ص٣١٧، وانظر: تاريخ الفكر الأندلسى، ص١، وانظر: شمس العرب... ، ص٤٧٤,

(٤) انظر: شمس العرب... ، ٤٧٤ ـ ٤٧٥ .

(٥) انظر: الانتماء فى الأدب الأندلسى، ص٢ .

(٦) انظر: السابق، ص١، وفى الصفحات اللاحقة.

(٧) انظر: شمس العرب... ، ص٤٩٦ .

(٨) انظر: السابق، ص٤٩٨ .

(٩) انظر: السابق، ص٤٩٩ .

(١٠) انظر: نفح الطيب... ، ج١، ص٥٤٠ ـ ٥٤١، وانظر: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة)، ص٢٠، وانظر: الشعر العربى فى إسبانيا وصقلية، ص٥٦ ـ ٥٧، وانظر: شمس العرب... ، ص٤٩٩ .

(١١) انظر: شمس العرب. . ، ص٤٩٩ .

(١٢) من السابق، الصفحة نفسها.

(١٣) من: تاريخ آداب العرب، ج٣، ص٦٧ .

(١٤) من: النفح... ، ج١، ص٤٦٠ ـ ٤٦١ .

(١٥) انظر: السابق، ص١٥٣ وص٦١٦، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ص١١١ ـ ١١٢، وانظر تعليقه فى الهامش على هذه الأبيات.

(١٦) انظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة ...، ص٥٦ .

(١٧) انظر: تفسير التاريخ، ص٢٢٢، وانظر عملية إحصائية عن الموريسكيين فى بحث بعنوان: التجربة الأندلسية الموريسكية، محاولة فحص من الداخل، ص٣٠ ـ ٣٩ .

(١٨) من بحث بعنوان: هاجس العودة إلى الأندلس، ص١ .

(١٩) من السابق، الصفحة نفسها.

(٢٠) الأبيات من قصيدة للشاعر أبى المطرف أحمد بن عميرة المخزومى فى رثاء بلنسية. انظر: الشعر الأندلسى، ص١٥٣ ـ ١٥٤، وقبله انظر: صفة جزيرة الأندلس...، ص٥١ ـ ٥٢ .

حقيقة الأدب الأندلسى:

لقد مضى الفكر فى بلاد الأندلس مع الإنسان وعبر القرون المتلاحقة، ولأنه كذلك فما زال النبع الصافى الذى منه ننهل أخبارهم وحكاياتهم وأدبهم، فمنه عرفنا أن أهل الأندلس «كانوا أحرص الناس على التميّز..»[1]، وأن «العلم عندهم معظّم من الخاصة والعامة، يُشار إليه ويُحال عليه»[2]، ولاهتمامهم بالعلوم الدينية، فقد كانوا يسمون الأمير العظيم منهم بالفقيه، وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه.. لأنها عندهم من أرفع السمات، يقول صاحب النفح: «وقراءة القرآن بالسبع، ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك»[3]، ويقول: «كل العلوم لها عندهم حظ إلا الاعتناء بالفلسفة والتنجيم...»[4].

إن الاهتمام بكلمة (فقيه) تدل دلالة واضحة على تلك المكانة الرفيعة التى احتلتها العلوم الدينية فى بلاد الأندلس[5]، ومع ذلك لم يغفلوا الجوانب الأخرى من الفكر، فلقد كان «علم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل، والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم وظائف»[6] و«إذا كان الشخص بالأندلس نحويا أو شاعرا فإنه يَعْظُم فى نفسه لا محالة..»[7].

إن حضارة الأندلس الفكرية لم تظهر من فراغ، بل جاءت «عبر مخاضات ومن خلال أعاصير واجهتهم عبر العصور»[8] كانت عاتية فى البداية وفى النهاية، على أنها كالبركان الذى يخمد حينا ثم يعود للفورة من جديد.

إن كثرة الفتن والحروب التى حلت بالأندلس كانت مدعاة للتمسك بالجذور، لكنه تمسك قد أدّى إلى انطلاقة متميزة، فقد اتجه الكثير من المثقفين لتحدى العصر وما فيه من قساوة، وما يعانيه المجتمع من صراعات وقلاقل... بمزيد من الأعمال العلمية «التى تبقى بعد فناء المال والأهل والوطن»(٩)، فإذا نحن مع «عبقرية شعب لا تندثر أبدا»(١٠)، وهى عبقرية كان التحدى هو الأساس الذى فجرها بدءا من دخول طارق ابن زياد، وانتهاء (بابن الأحمر)، إلا أن تحدى ابن زياد لم يكن كتحدى من أتى من بعده، فطارق عندما انتصر هدأت الأوضاع ما عدا بعض المناوشات بين أفراد القبائل الوافدة التى طرأت فى عهد الولاة، بينما تحدى (الداخل) كان أشمل وأعم، فهناك النصارى، وهناك الأوضاع الداخلية، وهناك مطاردة العباسيين له، ولذا، فإنه قد بنى على تحد اضح كان سببا فى «لف شمل التجمعات العربية الأصل وبين النظام الأموى فى قرطبة فى العصور الأولى»(١١)، كما كان سببا فى تكوين دولة قوية عُرِفت بالدولة الأموية، وقد ظلت قوية حتى انتهاء خلافة الحاجب المنصور ابن أبى عامر، ثم ضعفت أمام الفتن الداخلية «كفتنة قرطبة»، تلك التى تحدّث عنها ابن شهيد فى مقطوعة شعرية مبينا أثرها على هذه المدينة كرمز للأندلس، وكيف تحولت بعد عمار إلى خراب(١٢):

ما فى الطلول من الأحبة مخبر ... فمن الذى عن حالها نستخبر

لا تسألن سوى الفراق فإنه ... ينبيك عنهم انجدوا أم اغوروا

جار الزمان عليهم فتفرقوا ... فى كل ناحية وباد الأكثر

ثم قال: فلمثل قرطبة يقل بكاء من ... يبكى بعين دمعها متفجر

دار أقال الله عثرة أهلها ... فتبريروا وتغريوا وتمصروا

ثم قال: **عهدى بها، والشمل فيها جامع   من أهلها والعيش فيها أخضر**

إن الفتنة التى تحدَّث عنها (ابن شهيد) كانت «ضربة قاصمة للحضارة الأندلسية المزدهرة»(١٣) فقد عادت الأندلس بعدها إلى التفكك، فإذا نحن مع «عصر تاريخ جديد كان بعامة مشجعا للأدب والثقافة»(١٤) فقد تعددت فيه العواصم الثقافية، وأصبح التحدى يمثل فى هذه الفترة مسارا جديدا وهو تحد داخلى ركز فيه على العلم كوسيلة للتفوق، إذ سعت كل مملكة من ممالك الطوائف لمحاولة إظهار تفوقها على الأخرى، فقد «سادت بين ملوك الطوائف فى إشبيلية والمرية وبطليوس وغرناطة وطليطلة روح المنافسة الشديدة والتسابق فى حماية العلوم وتشجيع الآداب»(١٥)، فقد كان من أعظم مباهاتهم أن فلانا العالم عند فلان الملك، وفلانا الشاعر مختص بفلان الملك(١٦)، ونتيجة لهذا التنافس، فقد حاول (مجاهد العامرى) ملك دانية أن يكون كتاب أحد العلماء باسمه هو لا باسم العالم الذى ألّفه، لكن هذا العالم رفض، وقال رادًا: «قد ألفته لينتفع به الناس، وأخلد فيه همتى، لن أعطيه أحدًا . .»(١٧).

إن التشجيع فى هذا العصر لم يتوقف على الأدب فحسب، بل تعدّى ذلك إلى الحياة العامة، فقد اختفت فى عهدهم «كل المشكلات الدينية، وساد التسامح الدينى على نحو لم يعرف من قبل، ومن ثم استطاع الفلاسفة أن يعكفوا على أجرأ الدراسات وأعمق البحوث، وأسهم كثير من الأفراد بقدر وافر من الأعمال الفكرية خاصة الأدبية، وتميزوا فيها، فكتب المظفر بن الأفطس ملك بطليموس موسوعة كبيرة قيل إنها جاءت فى مائة مجلد وقيل فى خمسين مجلدا، واشتهر المقتدر

ابن هود ملك سرقسطة بمعارفه الواسعة فى الفلك والهندسة والفلسفة، واشتهر آل عباد أمراء أشبيلية وبنو صمادح أمراء المريّة بالشعر. .»(١٨)، وإذا كان هذا هو الوضع فى بلاد الأندلس إبّان عهد الطوائف فقد كان ذلك مدعاة لانعدام روح التضامن، والعدو متربص حول وداخل البلاد، فاستغلها للنيل من المسلمين، وأوصله الأمر إلى حد فرض الضرائب على هؤلاء الملوك، ومن تأخر فقد يفكر فى أمر آخر، وكان (ابن عباد) من بين المتأخرين، ولأنه كان أشهر ملوك الطوائف، فقد حاول النصارى الإمعان فى إذلاله، إذ طلب (أذفونش بن فردلند) منه الضريبة فوقها بعض الحصون، ثم مطالبته أن تلد امرأته (القمطيجة) فى جامع قرطبة، وبعث أحد وزرائه لإقناع (ابن عباد)، إلا أن هذا الأمير العربى المسلم قد رفض، بل إنه أخذ محبرة كانت بين يديه ضرب بها رأس اليهودى فسقط دماغه فى حلقه، وأمر به، فصُلب منكوسًا بقرطبة، ثم استفتى الفقهاء فى عمله هذا، فأجازوه، راجين أن يجعل الله بهذه العزيمة فرجا للمسلمين(١٩).

ثم سار التحدى فى مسار آخر، إذ توجه (الأذفونش) إلى أشبيلية، بجيشه وذلك بعد رفض ابن عباد وقتله للمبعوث اليهودى، «فقد أقسم بآلهته ليغزون ابن عباد فى عقر داره» (٢٠) وانتهى هذا التحدى بمعركة (الزّلاقة)، تلك التى كانت نصرا مؤزرا للمسلمين فى بلاد الأندلس بمساعدة من (ابن تاشفين) على الرغم من تحذير بعض ملوك الطوائف له من هذا العمل، وأن الملك عقيم، فردّ عليهم بمقولة أصبحت مثلا «رعى الجمال خير من رعى الخنازير»(٢١). عاد (ابن عباد) إلى أشبيلية بعد (الزّلاقة)، وجاء المهنئون له بالنصر «فقرأ المقرئون القرآن، وقامت على

رأسه الشعراء فأنشدوه. قال عبد الجليل بن وهبون: حضرنا ذلك اليوم وقد أعددت قصيدة، فقرأ القارئ: «إلا تنصروه فقد نصره الله»، فقلت بعدا لى ولشعرى والله ما أبقت لى هذه الآية معنى أحضره إليه وأقوم به..»(٢٢) وفيما كانت الأندلس مبتهجة بهذا النصر تعرضت لتحد آخر، ولكن من قبل (ابن تاشفين)، إذ عاد إليها غازيا لا مساندا، فقبض على (ابن عباد)، ذلكم الذى أبلى بلاء حسنا فى الزلاقة، ثم زجّ به فى سجن أغمات الصحراوى، مذلا إياه:

لو كان يفرج عنه بعض أوانة	قامت بدعوته حتى الجمادات
لهفى على آل عباد، فإنهم	أهلة ما لها فى الأفق هالات(٢٣)

وقال فى أخرى(٢٤):

تبكى السماء بمزن رائح غادى	على البهاليل من أبناء عباد

وقال واصفا الموقف والمعتمد ومن معه يُرحلون إلى (بر العدوة)(٢٥):

سارت سفائنهم والنوح يصحبها	كأنها إبل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم	تلك القطائع من قطعات أكباد

وبعد دخول المرابطين الأندلس تعددت الثورات المحلية، مما كان له الأثر فى الوضع السياسى، فقد أدى هذا الأمر إلى اضطراب وتمزق وفوضى(٢٦) داخل البلاد كان الداعون لها من القضاة والفقهاء والكتاب والشعراء(٢٧)، قال شاعرهم الهجاء(٢٨):

فى كل من ربط اللثام دناءة	ولو انه يعلو على كيوان

وقال آخر مصورا الوضع فى إشبيلية(٢٩):

إلى الله أشكو الذى نحن فيه أسى لا نهنه منه الأسى

إن دخول المرابطين إلى الأندلس قد أدّى إلى ذهول لدى الأندلسيين خاصة المفكرين منهم، إذ كيف انقلب المنقذ إلى فاتح متغلب؟ وكيف استظل بفكرة الجهاد ليبسط سلطانه على الأندلس؟؟(٣٠)، وقد أدّى هذا فيما بعد إلى ترحيب من قبل الأندلسيين بالموحدين، فقد وفدت على عبدالمؤمن بن على وهو (بسلا) وفود أندلسية عديدة من مختلف حواضر الأندلس، ومن بينها كثير من رجالات الأندلس البارزين من الفقهاء والقضاة والزعماء والقواد بلغوا نحو خمسمائة رجل(٣١)، شارحين له وضع الأندلس، والضعف الذى وصلته فى العهد المرابطى، وكيف واصل النصارى مضايقتهم للبلاد، مع كثرة فتن وانعدام أمن، فعزم على «توجيه البعوث العسكرية إليها...»(٣٢)، ودخلت الجيوش إليها فى سنة ٥٤٠ هـ وقبل ٥٤١ هـ، ومن ثم بسط الموحدون سلطانهم على الأندلس، وقد كان للشعراء دورهم فى الترحيب بالموحدين، فقد اصطفوا أمامه عندما نزل فوق جبل طارق، قال أحدهم(٣٣):

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل وانظر إلى الجبل الراسى فوق جبل

وآخر(٣٤):

فتحتم بلاد الشرق فاعتمدوا الغربا فإن نسيم النصر بالفتح قد هبّا

على أن هذا الاهتمام من قبل الشعراء بالموحدين قد زاد، فعندما انتصر الجيش الموحدى على النصارى فى موقعة (الأرك) سنة ٥٩١ هـ توافد الشعراء لتهنئة يعقوب المنصور، «إذ اجتمع فى حضرته منهم عدد غفير حتى حالت بينه وبين من كان أمامه رقاع القصائد لكثرتها..»(٣٥).

تلك حالة سعادة لم تستمر طويلا لدى الأندلسيين، (فقد اختلت أمور الموحدين فى بلادهم (المغرب)، «حيث كانت المعارك طاحنة فيها»[٣٦] وكان النصرى بعد ضعف الموحدين قد أخذوا يستولون على بلاد المسلمين فى الأندلس حصنا بعد حصن ومدينة بعد مدينة [٣٧] واشتعلت الفتن والثورات فى الأندلس حتى نصل إلى نهاية مملكة غرناطة، وتسليك (ابن الأحمر) مفتاحها للنصارى.

تلك أمور تحدَّثت عنها كتب التاريخ، وهمنا هو: ما دور هذا التحدى الذى تعرض له أهل الأندلس فى الفكر بشكل عام والأدب بشكل خاص؟

إن هذا التحدى الذى عرفناه فى تكوين الدولة الأندلسية وما تعرَّضت له قد طبع الشخصية الأندلسية بطابع القلق والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة لقسوة الحياة وشيوع الفتن وكثرة الحروب[٣٨] فكان أدبهم صدى لذلك[٣٩] منذ عبد الرحمن الداخل إلى (ابن الأحمر)، ولذا فإنه يصدق على الأديب الأندلسى قول القائل[٤٠]:

لم تستقر به دار ولا وطن ولا تدفأ منه قط مضجعه
كأنما صيغ من رهو السحاب فما تزال ريح إلى الآفاق تدفعه
كأنما هو توحيد تضيق به نفس الكفور فتأبى حين تودعه
أو كوكب قاطع فى الأفق منتقل فالسير يفزعه حينا ويطلعه

ومع ذلك، فقد كان المفكر الأندلسى عامة، والأديب خاصة ينطبق عليه قول والد ابن الأبار[٤١]:

جـــرت عـــادة النـاس ان يُســـالوا عن الحـــال فى كل خـــيــر وشـــر
فكل يقــــول بخـــيـــرانا وعند الحـقـيـقـة ضـد الخـبـر

ولذا، نجدهم يظهرون السعادة، والواقع غير ذلك.

إن القلق والحيرة والاضطراب النفسى قد وفرّ للمفكر الأندلسى أرضا خصبة فأبدع أيما إبداع، واستطاع أن يعبر عن ذاته، وهى ذات تضيع أمام (النحن) فى أحايين كثيرة، ولذا فإن شأنه مع هذا الوضع كشأن الشاعر المشرقى الكميت مع (الهاشميات)، تلك التى أبدع فيها مما حدا (بالفرزدق) إلى القول عنه: «لقد وجد آجرّ وجصًا فبنى»(٤٢). والفرزدق نفسه هو القائل: «وهل الشعر إلا فى الخوف والرجاء وعند الخير والشر؟ ...»(٤٣).

إن الأديب الأندلسى قد مرّ بجميع الحالات الوجدانية الانفعالية التى مرَّ بها الناس فى مجتمعه فاختزنها ثم ألبسها لباسا أدبيا ظهر فى الشعر والنثر، ولذا نجد أن قضايا العصر قد بدت واضحة كل الوضوح فى عطائه(٤٤)، لعل من أهمها:

الفراق الناتج عن الغربة والحنين الناتج عن البعد، والوصف لما حوله، على أن هذا الوصف قد يتعدّد ويتلّون كوصفه لمدينة خُرِّبت، أو شخص قد شُرِّد، أو وضع مقلق مُحيِّر، أو حالة تدعو لاستجابة من يشاهدها أو يراها أو يعايشها..، وبذا نجد أن الأديب الأندلسى كالمرآة العاكسة لواقع معاش، ومع ذلك فإنه ينبغى الا نهمل مزاجيته، تلك التى تجعله «لا يتلقى كل ما يصادفه، بل يتقبل ما يلائم طبعه ومزاجه.»(٤٥).

ولأن الأدب «رحب كرحابة الحياة الإنسانية بما فيها من صراع وتضارب، من متناقضات تنشأ عن الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها

بالمسئولية وما يستقر فى أعماق هذه الذات من دروب ومنحنيات والتواء وتعقيد. .»[٤٦]، فقد كان وعاء لكل ما عانته نفسية المفكر الأندلسى من حب وكراهية، من قلق وحزن، من أخذ وعطاء من تفاعل وانزواء، من حنين ووجد. . إلى غير ذلك مما يشعر به الإنسان ـ أى إنسان.

ولأن تلك حال المفكر الأندلسى خاصة الأديب، فإننا نجده قد اتصف بصفات خاصة جعلته يختلف عن الآخرين[٤٧]، ولأنه كذلك فما عاد يعرف للسعادة طعما حتى إن زهت الأرض وتجمّلت وكثرت الينابيع فيها وتعدّدت، على أن هذا الأمر لم يكن وقفا على المفكرين والأدباء فحسب، فقد تعدى ذلك إلى الحكام أنفسهم، فالناصر الذى حكم الأندلس خمسين سنة (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) لم يصف له منها سوى أربعة عشر يوما، «إذ وجد بخطه رحمه الله أيام السرور التى صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، وعُدت تلك الأيام فوجدت أربعة عشر يوما. .»[٤٨]، والمعتصم بن صمادح «قد صدمته خيل المرابطين فى آخر دولته وهو عليل علته التى مات منها فيقول أثناء ذلك: «لا إله إلا الله نُغّص علينا كل شىء حتى الموت. .، قالت حظيّةُ له: وقد أنشد بصوت لا أكاد أسمعه:

ترفق بدمعك لا تفنه فبين يديك بكاء طويل[٤٩]

وإذا ذكرنا الحكام فلن ننسى (ابن عباد ـ المعتمد على الله محمد بن عباد) وما تعرّض له من الذل والهوان عندما زج به فى سجن أغمات الصحراوى فى برّ العدوة وقد كان ذلك الملك الذى «لم يكن فى الأندلس قبله أشعر منه ولا أوسع مادة»[٥٠] وهو القائل فى صباه بديهة وقد سمع المؤذن يؤذن لبعض الصلوات[٥١]:

هذا المؤذن قد بدا بأذانه … يرجو الرضا والعفو من رحمانه

طوبى له من ناطق بحقيقة … إن كان عقد ضميره كلسانه

كما هو القائل فى مصيبته مخاطبا ابنيه، مشعرا إياهما بما هو فيه من الذل والمهانة بعد الملك(٥٢):

توليتما والسن بعد صغيرة … ولم تلبث الأيام أن صغرت قدرى

توليتما حين انتهت بكما العلا … إلى غاية كل إلى غاية يجرى

فلو عدتما لاخترتما العود فى الثرى … إذا أنتما أبصرتمانى فى الأسر

إن (ابن عباد) قد تعرض لمآسى من يقف عليها لابد وأن يكون «جامد الحس، فاتر العاطفة حتى لا يأسى لمأساته، ولا تهزه أشعاره الباكية وأنغامه الشجية، ويؤثر فيه ما ذاق من الهوان وتعرّض له من سوء المعاملة فى منفاه هو وزوجه وأولاده..»(٥٣)، على أن خاتمة المآسى كانت مع (ابن الأحمر) ذلكم الذى كان غارقا فى القلق والسوداء(٥٤) وهو الذى كان بخروجه من بلاده هو ومن معه اختتمت المأساة الأندلسية، واستولى القشتاليون على «غرناطة» وباختتامها انتهت دولة الإسلام فى الأندلس، واحتبست الزفرات فى الصدور، وكان أكثر الباكين على ذلك التراث (ابن الأحمر) نفسه، إذ وقف بعد التسليم مسرحا بصره لآخر مرة فى الربوع العزيزة على نفسه(٥٥)، غير أن هذه المحنة لم تثر الشعراء كما أثارهم من قبل سقوط الثغور والقواعد الأندلسية، ذلك «لأن دولة الشعر فى الأندلس. قد انهارت، وتحطمت الأقلام، وعقدت المحنة كل لسان»(٥٦) ومع ذلك فلا يخلو الفكر الأندلسى من «نفثات قوية تهز أوتار القلوب معظمها من شعر شعراء المغرب..»(٥٧).

منازلهم منهم قفار بلاقع … تجارى السفا فيها الرياح الزعازع(٥٨)

إن المفكر على تراب الأرض الأندلسية قد تأثر بواقعه المعاش، ولأنه يعلم أن دولته فى تحد دائم، فقد بلور فكره فى ضوء هذه الحالة، فجاءت كلماته فى حركة مستمرة(٥٩)، لا تعرف الثبات ولا تعترف بالحدود، ولا تستسلم للفتن والثورات مما جعل أدبه صورة للتفكير وللوضع(٦٠) الذى يلمسه ويحياه، فإن كان سعيدا تلاعبت معه الكلمات(٦١):

فى ارض الأندلس تلتذ نعماء ... ولا يفارق فيها القلب سراء

وليس فى غيرها بالعيش منتفع ... ولا تقوم بحق الماء صهباء

وقال:

انهارها فضة والمسك تربتها ... والخز روضتها والدر حصباء

وآخر قال(٦٢):

وإذا ما هبت الريح صبا ... صحت: وا شوقى إلى الأندلس

وهو القائل(٦٣):

يا اهل اندلس لله دركم ... ماء وظل وانهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا فى دياركم ... ولو تخيرت هذا كنت اختار

وإن كان يئن ويتوجع، عبرت عنه أبياته(٦٤):

آه من فرقة لغير تلاق ... آه من دار لا يجيب صداها

وآخر(٦٥):

يا أهل اندلس ردوا المعار فما ... فى العرف عارية إلا مردات

ألم تروا بيدق الكفار فرزنه ... وشاهنا آخر الأبيات شهمات

وسـواء أكان المفكر يعـيش فى شـقاء أم فى سـعادة، فـهو مـحب لبلاده، متـعلق بها، «فأبو بكر المخـزومى كان شاعرا أعمى شـديد الشر معروفـا بالهجاء، دخل عليه فى يوم من الأيام الشـيخ أبو بكر بن سعادة مع أخ له وهو فى مدينة طليطلة، فـسألهما المخـزومى: من أين؟ فقالا: من قرطبة، فقال متى عهدكمـا بها؟ فقالا: الآن وصلنا منها، فقال أقربا إلى أشم نسيم قرطبة، فقرُبا منه، فشم رأس الشيخ أبى بكر وقبله، وقال له: اكتب:

أقـرطبـة الغـراء هل لى أوبة ... إليك، وهل يدنو لنا ذلك العـهـد

سقى الجانب الغربى منك غمامة ... وقعقع فى ساحات دوحاتك الرعد

لياليك أسـحـار وأرضك روضـة ... وتريك فى استنشاقها عنبر ورد(٦٦)

لقد كـان الأندلسيـون متعـصبون لبـلادهم. نلحظ ذلك فى تراجم علمـائهم، فـهـذا يلقب بالمالقى، وهذا بالبـلنسى، وهذا بالغـرناطى أو بالشاطـبى، أو بالجيانى أو نـحو ذلك. .»(٦٧) وما دام ذاك طـبعُهـم فإن الأمثلة على تعلقهم ببلادهم لم تتوقف على الحنين أو اللقب، بل تعدّت ذلك إلى واقع الفكر، فـهناك المناظرة بين المدن الأندلسيـة وهناك الرسائل العديدة التى كتبت لإظهار فضل الأندلس وتفضيلها على غيرها(٦٨).

إن الأديب الأندلسى قد حاول التفاعل مع ما حوله، فاصطدم بواقع أدى لازدواج فى شخصـيته فلا هو مع ذاته ولا هو مع مجتـمعه، ولكنه فى الأعم الأغلب قـد غـلَّب (النحن)(٧٠)، فـهـو أدب ثابت يمضى مع مجتمعه فى كـل أحواله، وهذا ما نلمسه ولمسناه فى أدب بلاد الأندلس، فـالتـأريخ قـد خلَّد هذا العطاء، ذلك لأنه قـد صـدر عن أناس تحـمّلوا

همومًا، كما تعانقوا مع مسرات، واستقطبوا فى نتاجهم كل ما تجيش به الصدور فى وطنهم(٧١)، فكان أدبهم صادقا، ولذا لم يمت(٧٢) مع مرور الزمن بالرغم من تعرضه لرياح عاتية، لكنها لم تؤثر فى جذوره العميقة، فهى ثابتة أمام هزات الزمن التى هزت الإنسان والأرض فى تلك البلاد، «إن عزائنا نحن الأحياء أن هؤلاء الأحياء القدامى الذين مضوا بغير داع قد تركوا لنا أجمل التذكار فتواصلنا، عاشوا فى قلوبنا وواصلنا الحياة من بعدهم فى ضياء النجوم والأقمار والشموس التى أشعلتها أشعارهم. .»(٧٣).

إننا إن قرأنا الأدب الأندلسى وجدناه قد بُنى على حب المكان، سواء أكان الأديب طارئآ عليه أم هو قد تربى على تراب الأرض الأندلسية(٧٤)، وهى محبة كان الداخل قد زرعها، فقد سمى قصره بقصر (الرُّصافة) على اسم قصر جده فى الشام، متخذاً من تلك النخلة التى أُهديت له وزرعها فى حديقة قصره رمزا للانتماء، ولحب مكان قد كان ثم مكان معاش،

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

إن الداخل لم تؤثر فيه مطاردة العباسيين له، كما لم تؤثر فيه قسوتهم ضد أمراء بنى أمية، وما فعلوه حتى مع الموتى منهم ونبش قبورهم، فقد كان يحن لبلاده كثيرا(٧٥):

إن جسمى كما تراه بأرض وفؤادى ومالكيه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفونى غمضى

قد قضى الله بالبعاد علينا فعسى باقترابنا سوف يقضى

إن الغربة القسرية التى فرضت على (الداخل) قد جعلته يتعلق بأرض الجدود، ولذا فقد حاول أن يجعل مكانه الذى شاد فيه ملكا جديدا «امتدادًا للوطن الأم»(٧٦)، وما دام هذا مقصده، فإن بلاده الجديدة فى حاجة للمشرق، ومن هنا فإن الفكر الذى ظهر على تراب الأرض الأندلسية قبل سنة ٢٠٧ هـ هو أدب مشرقى، وليس للأندلس حظ فيه سوى أنه قيل على ترابها، إذ نجد فيه بداوة، والأندلس لم تعرف البداوة(٧٧)، كما تجد فيه فروسية «مستمدة من حياة الشاعر»(٧٨)، كما نجد فيه خشونة ومتانة فى السبك(٧٩) كقول الشاعر(٨٠):

أما سليمان السماح فإنه　　جلى الدجى، وأقام ميل الأصعر

وهو الذى ورث الندى أهل الندى　　ومحا مغيبة يوم وادى الأحمر

وإذا كان ذلك عن الشعر، فإن «النثر الأندلسى كان فى فترة تأسيس الإمارة نثرا خالصًا»(٨١)، قوامه الخطب والرسائل والوصايا والمحاورات، فالأندلس لم تعرف بعد النثر التأليفى «لأنه يحتاج إلى مستوى ثقافى لم تصله بعد»(٨٢) ولكى تصل الأندلس إلى مستوى المشرق الثقافى وتحاول أن تساوى نفسها به، فقد توجه الفكر فيها إلى التطلع لما يأتى من المشرق، وقد يتطلب هذا الأمر السفر والعناء من قبل أهل الأندلس، مثلما نجد عند (ابن الفرضى)، الذى سافر من أجل العلم(٨٣):

مضت لى شهور منذ غبتم ثلاثة　　وما خلتنى أبقى إذا غبتم شهرا

ساستعتب الدهر المفرق بيننا　　وهل نافعى أن صرت أستعتب الدهرا

أعلل نفسى بالمنى فى لقائكم　　واستسهل البر الذى جبت والبحرا

ويؤنسنى طى المراحل بعدكم　　أروح على أرض وأغدو على أخرى

ولأن (الداخل) قد بدأ بنقل الأسماء المشرقية من قبيل المحبّة لأرض الجدود، ولتكوين صورة أخرى لها، فإن هذه الظاهرة قد عمت الفكر الأندلسى، بل الحياة كلها، لتمثل فى النهاية نقل كل ما فى المشرق إلى ديار بعيدة عنه، وجُعل الأرض الجديدة تتقمَّص شخصية المشرق بكل ما حواه أرضا وناسا وفكرا، فعن جغرافيتها، قالوا(٨٤):

إن الأندلس: شامية فى طيبها وهوائها

: هندية فى عطرها وذكائها

: أهوازية فى جواهرها

: عدنية فى منافع سواحلها

وعن مدنها، قالوا(٨٥):

إن البيرة دمشق الأندلس

و«إشبيلية حمص» الأندلس

و«جيان قنسرين» الأندلس

و«رية ومالقة أردن» الأندلس

و«شذونة فلسطين» الأندلس

و«تدمير مصر» الأندلس

وإذا كان ذلك عن جغرافية المكان، «فإن الأندلسيين عندما يريدون وصف أديب أو شخص مثقف أو سياسى بارز يبحثون فورا فى ذواكرهم عن المشرقى الذى يمكن أن يقرن إليه»(٨٦)، ولذا نجدهم قد شبهوا بعض ملوكهم بالخلفاء العباسيين، فشبهوا «المعتضد العبادى» بالمعتضد العباسى،

يقول (ابن حيان): «إن المعتضد كان يتخذ سيرة سميّه الخليفة المعتضد بالله العباسى قدوة له ويهتدى بأخباره. .»[٨٧]، ويقول (ابن القطّان) عنه: «كان ذا سطوة كالمعتضد العباسى ببغداد...»[٨٨]، اتخذ خشبا فى ساحة قصره زينه برءوس الملوك والرؤساء الذين قاتلهم عوضا عن الأشجار التى تكون فى القصور، وكان يقول: فى مثل هذا البستان فليتنزه. .»[٨٩]، كما شبهوا المعتمد العبادى بالواثق بالله العباسى. أما الشعراء فقد حوت الأندلس أكثر من (ابن الرومى، وبشار، والمتنبى، وامرئ القيس، وزهير، والخنساء... إلى غير ذلك من الأسماء المشرقية المعروفة[٩٠]، على أن هذه المقارنات قد شملت حتى الكتب[٩١]، لكنها مقارنة لم تكن من قبل أهل الأندلس، وأنه صورة طبق الأصل للفكر المشرقى، فلا حاجة بنا إليه» أو كما قال الصاحب بن عباد عندما وقف على (عقد) ابن عبد ربه.

إن المفكر الأندلسى قد ربط عقليته بتراث جدوده، وهو تراث عميق لن يستطيع الوصول إليه إلا بعد أن يقصد مقاعد الدرس والتحصيل، ثم الانتقال إلى التقليد فالمعارضة ومن ثم إثبات الذات.

إننا إذا اتخذنا التأليف والشعر أنموذجا للتدليل على ذلك، فإننا نجد أن المؤلف الأندلسى قد بدأ بالتوجه للمشارقة كما نجد فى (عقد ابن عبد ربه)، ثم اكتفى بعد هذه المرحلة بالنهج أو الطريقة المشرقية كما نجد عند (ابن بسام) فى ذخيرته، ثم استقل فكره، فأصبح النهج أندلسيا والمحتوى أندلسيا أيضا كما نجد (فى القلائد، والمقتبس، والحلة، والمغرب. .).

وكذلك الشاعر بدأ بالتقليد، مثلما نجد (سليمان بن الحكم)، فقد قلّد فى أبيات له، منها قوله[٩٢]:

عـجـبـا يهـاب الليث حـد سنانى وأهاب لحظ فـواتر الأجـفـان

هارون الرشيد، فى مقطوعة منها قوله(٩٣):

مـالى تطاوعنى البـرية كلهـا وأطيـعـهن وهن فى عـصـيـان

وابن (عبد ربه) فى قوله(٩٤):

اتقتلنى ظلمـا وتجـحـدنى قتلى وقد قام لى من عينيك لى شاهدا عدل

يعارض صريع الغوانى، فى قوله(٩٥):

فـيـا حـزنى، انى أمـوت صـبـابة ولكن على من لا يحل له قـتلى

وابن دراج القسطلى، فى قوله(٩٦):

دعى عـزمـات المسـتـضـام تسـيـر فـتنجـد فى عـرض الفلا وتغـور

يعارض (أبا نواس) فى قوله(٩٧):

اجـارة بيـتـينا ابوك غـيـور وميـسورمـا يرجى لديك عـسـيـر

ثم انتقل الشعراء إلى مرحلة أخرى هى (مرحلة التضمين)، فشطر أندلسى، وآخر مشرقى، كما نجد عند (ابن الجنان الأندلسى) الذى قال(٩٨):

عـيـون النهى بين التـدبر والفكر «جلبن الهـوى من حـيث أدرى ولا أدرى»

وعند (ابن عبدون) الذى قال مضمنا لامية امرئ القيس(٩٩):

أيا سامـيـا من جـانبـيـه إلى العلا سـمـو حـبـاب الماء حـالا إلى حـال

لعـبـدك دار حل فـيـهـا كـأنهـا ديار لسلمى عـافـيات بذى الحـال

يقـول لهـا لما رأى من دثورها الا عم صـبـاحـا أيها الطلل البـالى

فقالت وما عيت جوابا بردها وهل يقمن من كان فى العصر الخالى

فمر صاحب الإنزال فيها بفاصل فإن الفتى يهذى وليس بفعال

وسعيا من الشعراء لإثبات الذات، ولكن بطريقة ترتيبية، فقد انتقلوا بعد تقليد ومعارضة الشعراء المشارقة، وبعد تضمين أشعارهم، نجدهم قد اتجهوا اتجاها آخر، إذ اتجهوا لمعارضة بعضهم البعض، كما نجد عند أبى بكر بن الملح فى قوله(١٠٠):

هل يسمع الربع شكوانا فيشكينا او يرجع القول مفناه فيفنينا

معارضا (ابن زيدون)(١٠١):

اضحى التنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وابن سهل الأشبيلى فى قصيدته التى مطلعها(١٠٢):

الأرض قد لبست رداء أخضرا والطل ينثر فى رباها جوهرا

عارض (ابن عمار) فى قصيدته التى منها(١٠٣):

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى

وبعد هذه المرحلة وصل الشعراء إلى مرحلة (إثبات الذات)، وهنا نصل إلى (الأدب القومى) فى الأندلس فبعد أن تكونت الدعامات الأساس من تشجيع ومكتبات وعلماء وأدباء وكثرة شعراء لدرجة أن الحراث خلف ثيرانه يقول الشعر وفى أى معنى يقترح عليه(١٠٤)، نجد أن الأندلس كلها «أمة شاعرة»(١٠٥)، فالحاكم شاعر، والوزير شاعر، والكاتب شاعر، والمعلم شاعر، والفقيه شاعر والقاضى شاعر والمرأة شاعر، والجزار شاعر(١٠٦):

تعيب على مألوف القصابة ومن لم يدر قدر الشىء عابه
ولو احكمت منها بعض فن لما استبدلت منها بالحجابة
اما لو اطلعت على يوما وحولى من بنى كلب عصابة
لهالك ما رايت وقلت هذا هزبر صير الأوضام غابة

والصبى شاعر، قال (ابن المنخل الشلبى) لابنه: أجز(١٠٧):

تنق ضفادع الوادى فرد عليه: بصوت غير معتاد

فقال الوالد: كأن ضجيج ممولها فرد عليه: بنو الملاح فى النادى

فقال الوالد: وتصمت مثل صمتهم فرد عليه: إذا اجتمعوا على الزاد

والجاهل شاعر، مثل (ابن جاخ)(١٠٨) الذى يعد أعجوبة عصره(١٠٩)، قال مخاطبا المعتضد بن عباد أمام شعرائه وفى مجلسه الأدبى(١١٠):

إن القريض لكاسد فى أرضنا وله هنا سوق بغير كساد
فجلبت من شعرى إليك قوافيا يفنى الزمان وذكرها متمادى
من شاعر لم يضطلع أدبا ولا خطت يداه صحيفة بمداد

وإذا كانت الأندلس أمة شاعرة، فإنها قد حوت من الأعاجيب ما يدل على سرعة بديهة وحاضرة أولئك القوم، ومنها أن أبا المتوكل الهيثم أحمد بن أبى غالب كان حافظا للشعر راوية له، ولكثرة ما أشيع عنه، فقد اختبر فى مجلس أحد رؤساء إشبيلية، وطلب منه أن يأتى بأبيات تنتهى (بالقاف)، فابتدأ أول الليل إلى أن طلع الفجر، وهو ينشد على وزن:

أرق علـى أرق ومـــــثلى يأرق وجـوى يزيد وعـبـرة تـتـرقـرق

وسمـاره قد نام بعضهم وضج البـعض الآخر وهو لم يفارق قافـية (القاف)(١١١).

وإذا كان (ابن أبى غالب) يسمى بحافـظ إشبيلية، فإن هناك من هو أشعر منه مـثل (عبد الرحمن بن أبى الفهـد) «فلقد كان أشعر من أنبـتته الأندلس حتى إنه لم يكد يلـقى شاعرا جاهليـا ولا إسلاميا إلا عـارضه وناقـضـه..»(١١٢)، ولذا فـهو عند أهل الأندلس يمثل الفكر المشـرقى المتحرك، كما كان (ابن عبـد ربه) قد مثل الفكر المشرقى المقروء من قبل، وإذا كنا قد تحدثنا عن بعض أعاجيب بلاد الأندلس الفكرية، فلا ننسى أن هناك من الأدباء من تميز بسعـة الأفق مثل (ابن زيدون)، ذلكم الذى فاق (الواصل بن عطاء) الذى كان يتجنب الكلمات التـى فيها (الراء)، يقال: أن ابنة له قد توفـيت، وبعد الفراغ من دفنها وقف الناس عند منـصرفهم من الجنازة ليتـشكر لهم، فقيـل إنه ما أعاد فى ذلـك الوقت عبارة قـالها لأحد، قال الصفدى: «وهذا من التـوسع فى العبارة والقدرة على التفنن فى أساليب الكلام، وهو أمر صـعب إلى الغاية وأرى أنه أشق مما يحكى عن واصل بن عطاء..»(١١٣).

نقول:

إذا كانت الأندلس قـد حوت ذلك كله، فـإن الحضـارة التى نشأت فيها قـد مرت بمراحل «ثم فرضت نفسها، آخذة بأهداب الشـعور بقوتها وحيـويتهـا بالتدرج»(١١٤)، ولذا نجـد أن (الأدب القومى) كـان هاجس المفكرين الأندلسيـين، وأن الدعوة له تمثل (الانتمـاء الأندلسى الخالص)،

وهو انتماء لم يكن وليد اللحظة، بل كان موجودا منذ عهد (الداخل)، لكن ترجمته قد اختلفت من عصر إلى عصر، فالداخل ترجمه سياسيا من خلال تكوين دولة قوية قامت على دعائم حضارية استقاها من بلاده (المشرق)، وقد استمر هذا لدى الساسة بنفس المستوى بالرغم من اختلاف الطموحات والتوجهات.

وإذا كان طموح الساسة قد دعا إلى الانفصال التام عن المشارقة بدءا من عهد الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ)[١١٥] الذى قال فيه (ابن عبد ربه)[١١٦]:

بدا الهلال جديدا والملك غض جديد

يا نعمة الله زيدى ما كان فيه مزيد

وانتهاء بمملكة غرناطة، فإن المفكرين قد بدأوا أيضا التفكير فى الاستقلالية وذلك بعد أن تحول أدبهم من أدب تعلم وضعف إلى أدب قوة وإثارة، وليسيروا فى هذا الاتجاه مع اتجاه الساسة فى بلادهم.

إن هذ التفكير يعنى مولد أدب قومى وهو مولد قد مَرَّ بمراحل، بدأ بنقل الفكر المشرقى مع تدخل شخصية المفكر الأندلسى مثلما نجد فى (عقد ابن عبد ربه ت ٣٢٨ هـ) وبثه لشعره فى ثنايا الكتاب مع وضع تمهيد لكل موضوع، ثم نواجه كاتبا آخر يبث أشعار أهل بلاده[١١٧] مع معارضته فى التأليف للمشارقة وهو الجيانى وكتابه (الحدائق)، ثم طغى الموضوع الأندلسى، فإذا نحن مع كتب التراجم التى ظهرت بصورة لافتة للنظر فى القرنين الخامس والسادس الهجريين وذلك بهدف «التعريف بالأندلسيين وبأدبهم»[١١٨] وبعد توافر الكتب المتعددة بين كتب معارضة

وتراجم اتجـه المفكر الأندلسى لأمـر آخر، تمثل فـى السعى لإيجـاد أدب أصيل فى الأندلس(١١٩) فقد ألف (ابن شهيد ت٤٢٦ هـ)، قصة (التوابع والزوابع) تلك التى سـعى من خـلالهـا لإظهار تفـوقـه الفكرى فكانت أنموذجا للقصص الخيالية التى تجـعل الذات متفوقا على الآخرين مع عدم نسيانها (للنحن).

إن قصة التوابع والزوابع من القصص التى أثرت فى الآخرين لتعلن من خلال هذا التـأثير عن مـولد أدب قومى ينتمى لبـلاد الأندلس، لكنه مولد تغلّب عليه الغرض الشخصى، ولذا فقد عدَّ معظم الباحثين ما كتبه (أبو الوليـد الحميـرى ت٤٩٠ هـ) فى مقـدمة كـتابه البـديع فى وصف الربيع) «إعلانا حقيقيا بمولد الأدب القومى»(١٢٠) فى الأندلس، إذ نجده يقول: «وأما أشعار أهل المشرق فقد كـثر الوقوف عليها والنظر إليها حتى ما تميل نحوها النفوس..) ثم قال: مع أنى أستغنى عنها ولا أحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثر المبتدع، والنظم المخترع..»(١٢١).

إن هاجس الدعوة لأدب قومى قد تملّك من نفسية المفكر الأندلسى، وهو هاجس كان يمثل فى بدايته طموحـا، ثم انتقل إلى واقع بعدما وقف على كـتب المعارضـات والتراجم وبعـض اللفتـات النقدية التى صـدرت وتصدر عن أديب أو مـفكر والتى تدعو إلى الاهتمـام بأدب البلاد، لكن هذا الهاجس تحول إلى ما نسمـيه «بقلق المثقف الداخلى»، وهو قلق نشأ بعدمـا كثر النتاج الفكرى فـى بلاد الأندلس وما يراه من عدم الاحتـفال بهذا النتاج بعـكس نتاج المشارقة الذى يحتل مكـانة بارزة فى سماء بلاده سواء بالحفظ أم بالتقليد أم بالمعارضة.

إن هذا الأمر قد دعـ الكثير من المفكريـن الأندلسيين إلى التعبير عن هذا القلق مثل (الحجازى ت٥٥٠ هـ) صـاحب المسهب، إذ نجده يقول: «إن الأندلس عـراق المغرب»(١٢٢)، وكأنه بهذا يشير إلى ضـياع شخصية بلاده أمام (العـراق) كرمز للمـشرق ولديارة ولكل ما حـواه، وقد يكون التعبير عن هذا القلق بالإعـلان عن الرغبة فى الذهاب إلى العراق(١٢٣)، فـقد يجـد المفكر مكانته هـناك ولشعـوره بخيـبة الأمل فى بلاده يقـول القسطلى(١٢٤):

فكم رحبت أرض العـراق بمقـدمى وأجـزلت البـشـرى على خـراسـان

وقال (ابن بقى)(١٢٥):

أنا امـــرؤ إن نبت بى أرض اندلس جئت العـراق فقامت لى على قدم

والبعض من المفكرين يُنفذ الرغبة، فيذهب للمشرق، فإذا به يواجه بخيبة أمل جديدة «فلم يخمد رحلته، ولم يعلق بأمل نحلته، فارتد على عقبه»(١٢٦)، على أن الأمر لم يكن عاما كما ـ يظن(١٢٧)، فهناك الكثير من المفكرين لم يخـرجوا عن بلادهم، ولم ينظروا أساسـا لهذه القضـية التى تمثلت فى القـلق من المشارقـة ومن كل مـا يأتى من المشـرق. إنهم يعيـدون عدم الاحـتفال بنتـاجهم داخل بلادهم إلى أمـور أخرى أهمـها (الحسد)، يقول (ابن حزم ت٤٥٦ هـ): «ولا سيما أندلسنا، فإنها خصت من حسد أهلهـا للعلم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واسـتقلالهم كثـير ما يأتى به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته...»(١٢٨).

ولأن (الحسد) صـفة ذميمـة، فقد أخذ ابن حـزم يحاول أن يُسوِّف على نفـسه فيـضرب أمـثلة ويأتى بأخرى، وكـأنه ينأى بهذا العـيب عن

بلاده، إذ نجده يقول متمثلا ببعض الأقوال: «أزهد الناس فى علم أهل» و«لا يفقد النبى حرمته إلا فى بلده»(١٢٩)، وكأن تسويفه بهذه الأقوال يأتى تبريرا للموقف الذى هو فيه، وعدم الاهتمام بنتاجه هو وأمثاله، وقد جاء هذا التسويف من واقع حبه لبلاده وتعلقه بها، وهو حب قد أججه الحرمان، وأثارته الغربة أو الشعور بها داخل الوطن(١٣٠).

إن حب الأرض الأندلسية من قبل المفكر الأندلسى قد أدى إلى شعور بالكبرياء، وهو شعور دفع بعض المفكرين إلى منافسة المشارقة(١٣١)، يقول الحميدى: «أنشد أحد الشعراء بحضرة أحد ملوك الأندلس مقطوعة شعرية لشاعر من المشرق، وهى(١٣٢):

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا وقد علموا أنى المشوق المتيم

سروا ونجوم الليل زهر طوالع على أنهم بالليل للناس أنجم

وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم فنم عليها فى الظلام التبسم

فأفرط بعض الحاضرين فى استحسانها، وقال هذا ما لا يقدر أندلسى على مثله، وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل، فقال بديها:

عرفت بعرف الريح أين تيمموا وأين استقل الظاعنون وخيَّموا

خليلى ردانى إلى جانب الحمى فلست إلى غير الحمى أتيمم

ولأن قضية الأدب القومى والدعوة إليه مفهومه، لكن الأندلسيين لم يربحوها تماما(١٣٣)، فإننا نجد أن هناك من الكتاب من يكرر المحاولة فيدعو أهل بلاده للاهتمام بأدبهم مثلما نجد عند (ابن بسام الشنترينى ت٥٤٢ هـ)، إذ يقول فى مقدمة كتابه: «إلا أن أهل هذا الأفق أبو إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى

قتـادة ... ، ويقول: وأخذت نفـسى بجمع ما وجـدت من حسنات دهرى وتتبع محـاسن أهل بلدى وعصرى غيـرة على هذا الأفق أن تعود بدوره أهلة، وتصبح بحاره ثمـرًا مضمحلة مع كثـرة أدبائه ووفور علمائه ... »، ويقول مـتضـجرا من أدب المشارقـة: «وقد مجّت الأسـماع: (يا دارمـيَّة بالعلياء فالسّند) وملت الطباع (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) ... »(١٣٤).

إن تواصل مثل هذه الدعوات للاهتمام بالأدب الأندلسى قد أثر فى الأندلسيين، فـقد اتجهـوا لجمع نتاجـهم الفكرى كما وجـدنا من قبل فى كتب التـراجم، وكما ظهـر لدى معظم الشعـراء والكتاب، إذ اتجه كـبار الشعراء لجـمع قصائدهم فى دواوين مثل (المعـتضد والمعتمـد وابن عمار وابن زيدون وابن خفاجة وابن حمديس وآخرين)، «فقد رأوا من واجبهم تكريس الجهد لإظهـار مكانة الشعر فى بلادهم»(١٣٥)، وهذا العـمل قد أدّى فـاعليتـه مما أدى إلى ثقة المفـكر بنتاج أهل بلاده، قـال (ابن دُحيّـة ت٦٣٣ هـ) عن قصيدة قالها الشاعر (الغزال)، ومنها قوله:

فاستضحكت عجبا بقولى لها وإنما قلت لكى تعـجـبـا

«وهذا شعر لو روى لعمر بن أبى ربيعة، أو لبشار بن برد أو لعباس ابن الأحنف ومن سلك هذا المسلك من الشعراء المحـسنين لاستغرب له، وإنما أوجب أن يكون ذكره منسـيا أن كان أندلسـيا، وإلا فمـا له أخمل، وما حق مثله أن يهمل»(١٣٦).

ثم تطورت هذه الثقة فدفعت ببعضهم إلى تأنيب مواطنيه لاهتمامهم بغـير نتـاج بلادهم، ها هو (ابن طلحـة ت٦٣٢ هـ) يقـول فى محـفل حضره: «تقيمون القيامة لحبيب والبحترى وفى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه. . »(١٣٧).

إن الدعوة للأدب القومى فى بلاد الأندلس قـد آتت أكلها مما جعل (الشقندى ـ ت ٦٢٩ هـ) يقول أمام صاحب سبتة: «الحمد لله الذى جعل لمن يفخر بجـزيرة الأندلس أن يتكلم ملء فيه، ويطنب ما شـاء فلا يجد من يعترض عليه، ولا من يثنيه، إذ لا يقال للنهار: يا مظلم، ولا للوجه الحسن: يا قبيح:

وقـد وجـدت مكان القـول ذا سـعـة فإن وجدت لسانا قائلا فقل(١٣٨)

إن الأندلس قد حوت الكثير من العلماء والمفكرين حق لها أن تفخر بهم كمـا فخر بـهم الآخرون يقول الكاتب (أبو علـى الحسن بن محـمد القيروانى) مـخاطبا عبد الوهاب بن حـزم ومعاتبا إياه كـإنموذج للكتاب الأندلسيين لعدم تدوين نتاج بلادهم الأندلسية: «إنى فكرت فى بلادكم، إذ كانت قرارة كل فضل ومنهل كل خـير..»، ثم يقول: «وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم قائم فى ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزحزح، يخاف إن صنف أن يعنف، وإن ألف أن يخالف، فلم يتعب أحـد منهم فى جمع فضـائل أهل بلده، ولم يستعـمل خاطره فى مفـاخر ملوكه، ولا بـل قلما بمناقب كتـابه ووزرائه، ولا تسوَّد قـرطاسا بمحاسن قضاته وعلمائه...»(١٣٩).

إن عتب القيـروانى ينطبق على فترة من الفتـرات التى مرَّ بها الفكر الأندلسى، لكنه لا ينطبق على الفتـرات اللاحقة خاصـة القرنين الخامس والسادس الهجريـين، إذ نجد جوا ثقافيا مزدهرا من خـلال وفرة المؤلفات خاصـة كتب التراجم، تلك التى حـاول مؤلفوها تسجـيل كل حدث فى بلادهم مما جعلهـا مصدرا ثـقافيا ثـرا، وإذا كانت الكارثة أو التشـرد قد تقطع الحبل الموصول فتجعل الكاتب ينقطع عن السير فيما خطط له، فإنه

قبل أن يـصيبـه مكروه ويضيع مـا لديه من علم «يجـبر نفسـه على إتمام التأليف حفظا للحقيقـة عن الضياع بعد أن يطلب من الله العون»(١٤٠)، وما كتابا (التكملة لكتاب الصلة والحُلة) عنا ببعيدين(١٤١) وكذلك كتاب (المغـرب فى حلى المغـرب) ذلكم الذى توارثت تأليـفه مـجـموعـة من المفكرين من عائلة واحدة، فبرزت فيه ثلاث اتجاهات:

ـ اتجاه جغرافى بقلم الحجارى

ـ اتجاه أدبى بقلم أبى جعفر بن سعيد

ـ اتجاه تاريخى بقلم موسى بن سعيد

ـ ثم جاء على بن موسى بن سعيد «فجمع بين الاتجاهات الثلاثة فى شخصيته العلمية الخصبة»(١٤٢).

على أن الأمر لم يقتـصر على كتابة التراجم حـسب، فإذا ما حَلَّت نازلة بالدِّيار الأندلسيـة «نجد نفرا من أهل العناية والضبط يـنصرفون إلى تخليد كنوز الأدب الأندلسى وصيانة محصوله الزاخر من الضياع»(١٤٣)، وإذا كان ذلـك طبعـهم مع التراث العـربى فى ديارهم والمحافظة علـيه، فينبـغى أن نعرف أن أهل الأندلس قد ضربوا أروع المثل فى خـدمة الفكر العربى الإسلامى بشكل عام «بحيث إننا لو أخرجنا الإسهامات الأندلسية من نسيج التأريخ الثـقافى الإسلامى لأحدثنا فى ذلك النسيج خـروقا يعزّ سدها بغير تصانيف علماء الأندلس فى الحـديث والتفسير واللغة والأدب والتصوف والفلسفة الإسلامية والفقه والأصول والجغرافيا..»(١٤٤)، ومن أجل هذا فـإننا لا نعـد التـراث الأندلسـى تراثا إقليـمـيـا، ولكنه تراث إنســـانى(١٤٥)، يمثل حضـارة عربية خـالصة لهـا جذورها المشرقـية

وخصوصيتـها المكانية الأندلسية، فقد ألبسهـا الأندلسيون لباس أرضهم، فجاءت تمثل أرضا تقمصت شخصـية العالم الإسلامى، لتؤثر عبر فكرها فى أوروبا، ولترد الجميل للمشرق، ثم تحفظ تراثه فيما بعد.

تلك حقائق رصدها التأريـخ الفكرى والحضارى، وما جاء ذلك إلا من خلال الموسـوعية الثـقافية التى كـان يتمتع بهـا أدباء وعلماء وفقـهاء الأندلس(١٤٦).

إن الأيام والسنين قـد جعلت من الأندلسيين أشـخاصـا مؤثرين فى غيـرهم فقد تحـولت بلادهم إلى مركز ثقـافى إليه تهفـو القلوب وتتطلع العيون.

ـ ففى **علم القراءات**، أصبحت الأندلس مركزا أساسا لدراسة هذا العلم ذلك لأنه نشـأ من أبنائـها من سـبق إلى التـأليف فـيـه عن دراية وإحكام، مـثل الشاطبى، الذى رحل إلى مـصر، ولعلمـه الغزير، فـقد «كان الناس يزدحـمون فى حلقـته ازدحامـا يصل إلى التشـابك والتناحر حرصا على الدنو منه..»(١٤٧)، وابن مالك والقرطبى صاحب التفسير.

ـ وفى **الفن القـصصى**، اشتهرت قـصتا «التوابع والزوابع»، و«حى بنى يقظان» فى المشـرق وفى أوروبا، بل إنهمـا ترجمـتا إلى عـدة لغات أوروبية.

ـ وفى **الموشـحات**، تلك التى استـحسنها أهل المشـرق وصاروا ينزعون منزعها(١٤٨)، وقد تذوقها أهل أوروبا فظهرت لديهم أشعار على منوالها وحسب طريقتها.

ـ وفى **المعـاجم اللغـوية**، فقد كانت معاجم الأفـعال تعتبر جهودا أندلسيـة رائـدة وعـلامة بارزة فى الحـضارة العـربية الإسـلامـيـة، فإلى

(ابن قوطية) تنسب هذه الريادة، إذ فتح بابا جديدا تابعه بعده تلامذته مثل أبى عثمان السرقسطى وابن القطاع وغيرهما[149].

- **وفى فن الشروح والحواشى للكتب الأدبية،** فقد أسهم عدد كبير من لغويى الأندلس فى هذه الظاهرة فرفدوا الثقافة العربية الإسلامية بالعديد من الكتب والمؤلفات التى تعد مصادراً فى بابها[150]، ولاهتمامهم بهذا الفن، فإنه يحكى أن مجموعة قد رأوا رجلا طويلا، فقال أحدهم: لو رآه (ابن ليون) لاختصره، وفى ذلك إشارة إلى كثرة اختصاره للكتب...»[151].

- **وفى أدب الرحلات،** أسهم عدد من أعلام الأندلس فى هذا اللون من الأدب، مثل العذرى والبكرى ومحمد الغرناطى وابن جبير ومحمد الزهرى وابن سعيد، وكان (ابن سعيد) من أظرفهم فى هذا المجال، قال يصف دروب القاهرة الترابية ذات الغبار الدقيق[152]:

لقيت بمصر أشد البوار	ركوب الحمير وكحل الغبار
وخلفى مكار يفوق الرياح	ولا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى	إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مد نحوى رواق الثرى	والحد فيها ضياء النهار

ويصف لنا الصحراء الكبرى: «لا ماء ولا مرعى ولا عمارة فى رمال سائلة وطرق مضلة، طامسة، وأكثر ما يكون فيها اللمط لأنه صابر على العطش...»[153].

إن المفكر الأندلسى «قد ترك بصماته عبر مختلف قنوات الثقافات والحضارات التالية داخل وخارج الدار، وهى بصمات أثرت فى فكرنا كما أثرت فى فكر غيرنا»[154].

إننا إن قسنا هذه الحضـارة بالحضارة المشرقـية وجدناها فى الأندلس أكثر فاعلية، فقد أثرت تلك الحـضارة فى الغرب، بينما المشرقية لم تؤثر فى الفرس، وبهـذا فقـد تفوق الفكر الأندلسى على المشـرقى، إذ تعدى حدوده، وجعل الـعرب أصحاب فضل فى نـهضة أوروبا(١٥٥)، قـال جوستاف لوبون نقلا عن مسيـو ليبرى: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا فى الآداب عدة قرون. .»(١٥٦)، علـى أن هذا التـأثير لـم ينقطع فى يوم من الأيام بل ظل مـتـواصلا «لم ينتـه إلا باشـتداد الاضطهـاد الدينى ضد المـسلمين والعرب ومن ثم جـلاء هؤلاء الجلاء الأخير»(١٥٧) فضاعت الأرض وضاعت اللغة، واستشهد الرجال، تهجَّر من تهجَّر، وبقى من بقى حتى تنصَّر أو تسمى بأسماء لم تعد تدل على قوة قـد كانت ولا رفـعة قـد ذهبت سدى وبقيـت الآثار الخالدة لا الأطلال البالية لتذكرنا (بالفردوس المفقود)(١٥٨)، ولتدل على شموخ قد كان، وحضارة قد عمت ونضجت وقلاع للمجد قد تعددت، وهى قلاع تمثل حضارة عربية تشعـرنا بعدم القدرة على فصل تأثير الأندلس وحدها عن حضارة المشرق، فالوشائج أكثـر تعقيدا واتصالا من أن تفصل(١٥٩)، ولعل فى ذلك دلالة عـلى مـا قلناه سـابقـا من أن الأندلس تقـمـصت شخصيـة العلم الإسلامى فمثلته فى فكره فكان خيـر تمثيل، وكانت بهذا أكثـر فعاليـة وعطاء لمواجهـة الواقع، ولتحدى الصـعاب ولتـمثل لنا فى النهاية منظومة كاملة، منظومة عربية سواء أكـانت مشرقية أم مغربية، قال أحدالأدباء الأندلسيين وقيل بعضهم: «من لبس البياض، وتختم بالعقيق، وقرأ لأبى عمـرو، وتفقه للشافـعى وروى شعر ابن زيدون فقـد استكمل الظرف. .»(١٦٠).

أما الاغتيال

فقبل أن تصير الأندلس أرضا صماء، لا نسمع لها صدى ولا لتاريخها حسا، فكأنما بدأ غريبا وعاد كما بدا[١٦١]، أصيب فكرها بهزات عنيفة حاولت اغتياله، وهى هزات «نتجت عن تزاحم تاريخها الطويل بمصائب وانتكاسات فى المجالات المختلفة، وشهدت طوال الوجود العربى فيها مختلف المعارك وضروب المحن والاضطرابات»[١٦٢] كما هى هزات نتجت عن قلق داخلى وصراع شخصى فى بعض الأحايين، وقد تنتج عن أمور أخرى أوجدها المجتمع نفسه.

إن أهم تلك الهزات التى تعرض لها الفكر الأندلسى الفتن الداخلية والحروب الخارجية، فقد تعدَّدت وتلونت، ولهذا فقد كان أثرها واضحا فى المفكر الأندلسى، إذ أصبح القلق ملازما له، غير مفارق لشخصه، فكانت أيام شقائه قد زادت على أيام سعادته، فكانت عندئذ أيام سعادته أشبه بومضة نور ثم تنطفئ، ولذا نجد أن المفكر الأندلسى غير مستقر فى مكان محدد من بلاده، فأحيانا نجده الإشبيلى، ومرة نجده (القرطبى)، وأخرى القيسى. إن مكث فى شلب انتسب لها، وإن عاد إلى (رندة) نسب إليها، وما (ابن طفيل) عنا ببعيد، فأحيانا نجده (الأندلسى) إذا كان خارج بلاده، وإن عاد نجده القرطبى أو الإشبيلى[١٦٣] «نظرا لتقلبه فى هذه البقاع»[١٦٤]، وقد يقول قائل، إن فى ذلك دلالة على الانتماء وحب الأرض ولا أثر لها فى الفكر، لكنى أقول: إن عدم الثبات فى مكان بعينه قد أدى إلى قلق نفسى متواصل وهذا يؤثر على المفكر سلبا لا إيجابا.

إن الفتن والحروب قـد أدّت إلى تفرق علماء الأندلس أيدى سـبأ، فلا نجـد لهم مكانا محـددا، وعندئذ تنازعت نفسـية المفكر أمـور عدة، فبعضهم يرى أن بقاءه مع هذه الفتن أو تلك الحروب فى بلده سيؤدى إلى هلاكه، والبعض الآخر يرى أن ابتعاده عن وطـنه مأساة تزيد على مآسيه الأخرى، يقول الشاعر(١٦٥):

آه من غـربة ترقـرق بثـا | آه من رحلة تطول مـداها
آه من فـرقـة لغـيـر تلاق | آه من دار لا يجـيب صـداها

ولعل من أشهـر الفتن التى أثرت على المفكرين ومن ثم على الفكر الأندلسى حادثة (هيج الريض)(١٦٦) تلك التى قُضى فيها على العديد من أعـلام قـرطبـة، وهـذا الأمـر أدى إلى خلخلة فى الفـكر أيام (الحكم ـ الربضى) ذلكم الذى قال(١٦٧):

ولما تساقـينا سـجال حـروبنا | سقـيتهم سما من الموت ناقعـا

ولعل من أهم تلك الخـلخلة التـركـيز علـى غرض شـعـرى دون الأغراض الأخرى (كـالزهد) الذى جاء ردا على الحياة اللاهية مـثل كثرة الغـناء والمـلاهى(١٦٨)، وشعر المجـون الذى جاء مناقضا لشـعر الزهد وليعكـس لنا صورة أخرى من صـور التناقض التى عـانى منها المجـتمع الأندلسى فى هذه الفترة.

وإذا كانت حادثة هيج الربض قـد أثرت على المفكر الأندلسى، فإن (فتنة قرطبـة) أو الفتنة البربرية كانت أشد وقعـا على الفكر والمفكر، فقد قضت على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد(١٦٩)، فقد أصيب فى وقعة (قنتـيش) لوحدها ما يزيد على ستين من المؤدين خـاصة، قال

(ابن بسام) عن أهل قرطبة وما حولها ممن عانى نار هذه الفتنة وآذاه قتامها»[١٧٠]: «لقد أصبحوا طرائد سيوف وجلاء حتوف، يلوذون بآفاق هذه الجزيرة المنكوبة لواذ الماء بأقطار الزجاجة المصبوبة فكانوا كما وصف الملك الضليل، حيث يقول:

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب[١٧١]

أو كما قال صاحبهم (القسطلى) وهو «يضجر من حاله، ويحار من إدباره بين تلك الفتنة ـ وإقباله، ويصف ما حَلَّ به وانجلى عن أهله وأطفاله..»[١٧٢].

تقسمهن السيف والحيف والبلى وشطت بنا عنهم عصور وأزمان

كما اقتسمت أخدانهن يد النوى فهم للردى والبر والبحر إخوان

إذا شرق الحادى بهم غربت بنا نوى يومها يومان والحين أحيان

وإذا كان (القسطلى) قد استطاع أن يعبر عما فى نفسه عن هذه الفتنة فإن الأعم الأغلب من الشعراء فى تلك البلاد «قد نسجت على أفواههم ومحاربهم العناكب أيام الحرب والفتنة..»[١٧٣]، وأصبح الشعراء موالى كل من تولى سلطة، يمجدون اليوم هذا، ثم يمجدون غدا قاهره، وبذا فإن مدائحهم أصبحت جزافا من القول منصرفين فى بعض الأغراض إلى ذكر المكايد الصغيرة والخلافات الداخلية..[١٧٤]، ومنهم من التفت إلى مدينته (قرطبة) متذكرا سالف أيامها، وكيف أصبحت بعد خرابها، قال (ابن شهيد) عن مدينته التى تربى على ترابها:

يا جنة عصفت بها وبأهلها ريح النوى فتدمرت وتدمروا

آسى عليك من الممات وحق لى إذا لم نزل بك فى حياتك نفخر

إن فتـنة قرطبـة قد أثرت فى الحـياة بشكل عـام وفى الفكر بشكل خاص، فـقد انحصـر الإبداع الشعـرى حول التغنى بالـذات، وفى النثر التأليـفى حول التراجم والسـير الذاتية التى يتـحدث فيـها صاحبـها عن الماضى وجمـاله، والحاضر وتغـيره، كـما هو فى (طوق الحمـامة) لابن حزم، وبعض رسائل (ابن شهيد)(١٧٥).

إن الحياة الفكرية قد تخلخلت إبان الفتنة البربرية، وذلك «لتخلخل المقاييس واضطرابها فى الحياة الاجتـماعية والأدبية معا»(١٧٦)، علـى أن هذا التخلخل قد تعدّى هذه الفترة إلى الفترة التى استولى فيها (المرابطون) على الأندلس، فنظرا لفقد الشاعر للبطل فى بـلاده (المعتمد) وتحولها إلى أشخاص هم فى نظره غـاصبون، نجده قد تحول من نظرته الجـماعية إلى النظرة الفردية، فـخفت صوت الأديب الذى يعبـر عن مجتمعـه حتى لو جعل من هذا البطل أنموذجا أو رمزا لكل الأبطال كما نجد فى أشعار (ابن اللبانة وابن حمديس وابن عبد الصمد) فى نكبة المعتمد(١٧٧).

لقـد كان المرابطون سـببا فى هجـرة الكثـير من العلمـاء والأدباء والمفكرين ـ إما قسرا أو طواعية ـ(١٧٨)، أما من بقى منهم فى الأندلس، فإن كان شـاعرا نجده قد تحـول إلى شاعر اجتـماعى، إذ وجه شاعـريته وجهـة أخرى لم يألفهـا من قبل كمدح النسـاء وذلك «لما لهن من سلطة واسعة فى الحـياة الإدارية»(١٧٩)، إبان الحكم المرابطى، وبذا فقـد «كيف نفسه بما يلائم الظروف الجديدة التى أحاطت به»(١٨٠)، وإن كان أديبا أو عالما أو مـفكرا نجده قد اتجـه إلى حفظ محـصول الأندلس الفكرى عـبر الموسوعات التى ظهـرت فى هذا العصر خشـية من ضياعه (كـالذخيرة ـ والقلائد...)(١٨١)، أما من لم يقل شعرا ولم ينزو لتصنيف الموسوعات،

فقد رحل مع من رحل إلى المشرق من مثل أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت وأبى بكر الطرطوشى(١٨٢).

وإذا ركزنا على الشعر، فإننا نجده فى الأندلس (إبان الحكم المرابطى) قد كسد واضمحل، فقد تراجعت منزلة الشاعر(١٨٣) مما جعله يعيش على أصداء الماضى(١٨٤):

ايا رحمتا للشعر أقوت ربوعه على أنهم للمكرمات مناسك

وللشعراء اليوم ثلث عروشهم فلا الفخر مختال ولا العز تامك

أما فى (بر العدوة) فقد كان الشعر على غير ما هو عليه فى بلاد الأندلس، إذ استطاع الأدباء والمفكرون الذين عاشوا هناك «تحويل البلاط البربرى الصغير إلى مركز أدبى وعلمى»(١٨٥) جدير بالاهتمام والعناية ولأنهم قد استقروا فى هذه البلاد الجديدة، فإن ذلك قد أدى إلى اضمحلال الأندلس فكريا فى هذا العصر وفى العصور اللاحقة(١٨٦)، ففى القرنين السادس والسابع الهجريين توقف التأليف الإبداعى فى الأندلس ما عدا بعض الشروحات التى تعتمد على مؤلَّف سابق، بل حتى اللغة العربية وهى اللغة القومية للبلاد لا نجد لعلماء اللغة فى الأندلس إبان هذه الحقبة رأيا أو اختيارا مميزا ولذا لم تفرد بتأليف مستقل(١٨٧).

أما فى العصر الغرناطى، فقد لفظ الشعر آخر أنفاسه مثله فى ذلك مثل غيره من فروع الثقافة الإسلامية فى الأندلس، إذ كانت كلها تعيش على أصداء الماضى(١٨٨).

وإذا كانت الفتن قد أدت إلى اضمحلال الفكر فى بلاد الأندلس، فلا ننسى الحروب الخارجية وما أحدثته من دمار وخراب، ليس فى المدن

حسب، بل فى نفسية المفكر الأندلسى حتى وصل الأمر إلى هجرة «جمهرة كبيرة من أقطاب العلم والأدب هم البقية الباقية من مجتمع الأندلس الفكرى»(١٨٩). فأصبحت الأرض بعدهم خاوية، واستولى عليها النصارى(١٩٠):

حكم من الله حتم لا مرد له وهل مرد لحكم منه منحتم

أما من بقى فى دياره، فنجده قد قال: «وفى هذه الأيام عميت الأنباء وتكالبت فى البر والبحر الأعداء، واختلفت الفصول والأهواء، وعاقت الوراد ـ الأنواء... ، إن العدو بساحتنا فى هذه الأيام قد ربض...»(١٩١)، ونجده فى أخرى قد قال: «وإن تشوفتم إلى أحوال هذا القطر ومن به من المسلمين بمقتضى الدين المتين والفضل المبين، فاعلموا أننا فى هذه الأيام ندافع من العدو تيارا، ونكابر بحرا زخارا...(١٩٢).

إن النصارى قد أحاطوا بالديار الأندلسية من كل مكان، ولذا نجد أحدهم قد اتجه لإحصاء المعارك والوقائع الحربية التى دارت على تراب الأرض الأندلسية وأنها قد زادت على (٣٧٠٠) وقعة(١٩٣)، وهى معارك حاول من خلالها العدو المتربص بالمسلمين القضاء على المسلمين مما جعل الأرض الأندلسية تعيش فى قلق متواصل ظهر أثره لدى الخاصة والعامة، فالخاصة لمحناه فيما قلناه من قبل، أما العامة فيكفينا ما أوردته بعض الكتب التاريخية من قصة امرأة كانت قد صاحت مستغيثة «وا غوثاه بك يا حكم»، فسألها أحدهم عن شأنها، فقالت: «كنت مقبلة من البادية فى رفقة، فخرجت علينا خيل العدو، فقتلت من قتلت، وأسرت من أسرت..» وكان الحكم رحمه الله قد لبى دعوتها وانتصر لها(١٩٤).

إن الحـروب والـفتن تؤدى للقـضـــاء على فكر الأمـــة، ولولا أن الأندلسيين كـانوا أمة مفكرة لضاع فكرها أمـام هذا الزخم منها، على أن الحروب والفتن لم تكـن الوحيدة التى سـعت لاغتيـال الفكر الأندلسى، فهناك عوامل عدة ساندتها، وذلك مثل:

- الحسد.
- موقف المشارقة من هذا الفكر.
- شعور المفكر الأندلسى بالضعف أمام الآخرين.
- ظهور ألوان شعـرية جديدة، وهى ألوان ضعيـفة أدت إلى تشويه الأدب الأندلسى.
- صراع المفكرين داخل الأندلس، وهو صراع شخصى أو فكرى.
- إحراق المكتبات أو نهبها.
- موقف المستشرقين.

فأما (الحســد)، فقد تحدّث عنه أكثر من مـفكر أندلسى، وقد مر بنا مـا قـاله (ابن حزم)، وأن الأندلـس قد بنيـت على شىء من هذا المرض الخبيث، وهو مرض له جذوره فإذا كانت القبائل العربية فى بداية تأسيس الدولة قد عانت من الصراع القبلى، فـإن هذا الصراع قد تحوَّل من صراع القبيلة إلى صراع شخصى وفكرى تحول فيما بعد إلى حسد، كما هو من موروث فكرى جاء من خـلال دراسة كتب المشارقة ومـا حوته من تهكم وسخرية خاصة كتب الجاحظ، وقـد ظهر لنا هذا فى موقف (ابن شهيد) من معلمى قرطبة من خلال قصتـه (التوابع والزوابع)، فقد سخر من ابن الإفليلى وابن الحناط عندما شعر أنهما قد حسداه واتهماه فى فكره، على

أن الحسد قد قـضى على كثير من المفكرين إما جسـديا كما حصل (لابن الخطيب) فقد خُنق فـى سجنه ثم دفن، ثم نبش قبره وأخذت جـثته وتم إحراقها، ثم أعيد المتبقى من جسده إلى رمسه..[١٩٥]، وإما فكريا كما حصل للفلاسفة وغيرهم.

أما مـوقف المشارقة، «فلقـد عانى الأندلسيون أنـفسهم من احتـقار المشارقة لكل شيء يأتى من المغـرب، كما عانى الأندلسيـون أنفسهم من احتقـار كل شيء فى بلادهم أمام ما يأتى من المشـرق مما أدى إلى وجود ضعف نفسى تمكن منهم، قال (ابن حزم):

ولو اننى من جـانب الشـرق طالع لجد على ما ضاع من ذكرى النهب[١٩٦]

وقال (ابن عبـدون): «كتبت عن قريحة خـمد لهيبها، ونجـيزة ركد هبوبهـا، وذهن أمحت أضـواؤه، وطبع أخوت أنواؤه، وجنان فل ظبّـته الكسل، ولسان عقد عـذبته الخجل، ندبته إلى الاحتفال فـانقطع، وبعثته إلى الاسترسال فانقطع..»[١٩٧].

إن النظرة الاسـتعلائية التى كـان المشارقة يشـعرون بها واحتـقارهم للنتاج الأندلسى قـد ظهر على لسان بعض المفكرين منهم: فـقد قال (أبو العلاء المعرى) عن شاعرية ابن هانئ الأندلسى: إنها كالرحى التى تطحن قرونا، وقال (الجاحظ) عن الأندلس: إنها طينة حمقاء ومثله (ابن حوقل) وكذا القالى قبل أن يعيش فى الأندلس[١٩٨]، ومما يدل على تلك النظرة الاستعلائية ما حصل للشاعر (يحيى الغزال) الذى «دخل العراق بعد وفاة أبى نواس بمدة يسـيـرة، فوجـدهم يزرون بأهل الأنـدلس ويستـهـجنون بأشعـارهم، فتتـركهم حتى وقـعوا فى ذكر أبى نواس، فـقال لهم: من يحفظ منكم قوله:

فلمـــا أتيت الخـــان ناديت ربه	فـهب خـفـيف الروح نحـو ندائى
قـليل هجــــوع العين إلا تعلة	علـى وجل مـنـى ومـن نظـرائـى

فأعجبـوا بالشعر، وذهبوا فى مدحهم له، فلمـا أفرطوا، قال لهم: خفضوا عليكم، فإنه لى فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيدته التى منها البيتان المذكوران، فلما أتمها خجلوا، وافترقوا عنه»(١٩٩).

إن هذه النظرة الدونية من قبل المشارقـة للنتاج الأندلسى قد جعلت المفكرين الأندلسيين يـتخذون موقـفا من المشارقـة وممن ينتمى فى بلادهم للفكر المشرقى.

فأمـا موقـفهم من المشارقـة فمـما لحظناه من الدعـوة لإيجاد أدب قومى، وأما موقفهم ممن ينتمى للفكر المشـرقى، فقد كان موقفا مضطربا تمثل فى الحيرة والقلق من هؤلاء، ولأنهم كثر، فإننا نجد التباين فى كتب التراجم وتتـبع أخبار هؤلاء مثـل (ابن عبد ربه، وابن شهـيد، وابن أبى الفهـد، والسرقسطى صـاحب المقامات) فبـعضهم يحـجم عن ذكر هذه الأسماء، وإن ذكرها فمن مجرد الانتـماء والاحتفال بالكم العددى لأدباء الأندلس، والبـعض الآخـر يذكرهم هـنا خلخلة الفكر التى جـاءت من اضطراب هؤلاء المفـكرين ومـوقـفـهم من أبناء بلادهم، وهـنا نقف مع موقف التحدى، وهو موقف قد جعل الأندلسيين يقفون ضد كل ضعيف فى انتـمائه للأندلس أو لفكـرها أو ضعـيف فى فنيتـه، ولذا نجدهم قـد أحجموا عن ذكر (الموشحات والأزجال) فهى فى نظر المفكرين الأندلسيين تمثل مرحلة ضـعف وبذا فهى لا ترقى إلى مـستوى القصـيدة المشرقـية، ولإثبات الذات فلابد من مواجهة المشارقة بمثل ما عندهم إن لم يفقه ولذا فلا مجال لذكر (الموشحات والأزجال).

إن الموشحات والأزجال من الألوان الشعرية التى قادت اللغة الشعرية إلى الركاكة، وقد أساءت من هذه الناحية إلى اللغة العربية[٢٠٠] خاصة الأزجال، ولذا فقد كانت من الأسباب التى أدت فى نظر بعض المفكرين الأندلسيين إلى ضعف المفكر فى الوقت الذى هم فى حاجة إلى قوة[٢٠١] لكنه يدرك أن هناك ظروفا فنية واجتماعية[٢٠٢] قد أدت إلى هذين الفنين، فما كان من المفكر إلا الإحجام عن ذكرهما فلم يدرسهما خاصة الموشحات إلا المشارقة، وما (ابن سناء الملك) عنا ببعيد.

إن الموشحات والأزجال وشعر المجون الذى نجده مبثوثا فى بعض كتب المكتبة الأندلسية قد أدت كل هذه الألوان إلى تشويه الفكر الأندلسى، وقد استغلها معظم الدارسين فى غير صالح ذلك الفكر وكأنهم لم يعلموا: «أننا لا نستطيع أن نتجنب فى الحياة مادة الشعر، وإذا لم تتح لنا الحياة أن نحيا مع الشعر الرائع فسوف نحيا لا محالة مع الشعر الردىء، ونحن نملأ معظم حياتنا بأحلام اليقظة وهى ليست إلا شعرا رديئا خاصا بنا نحن الحالمين»[٢٠٣].

إن حياة أهل الأندلس العقلية قد تعرضت فى واقعها لكثير من الأفكار المتشرة غير المهضومة، ولكن تلك حياتهم، وذلك واقعهم، والحياة والواقع قد يفرضان عليهم أشياء لا نقبلها كدارسين، ولكنهم يتقبلونها لظروف هم أدرى وأعلم بها.

ولعل من أهم العوامل التى حاولت اغتيال الفكر الأندلسى بعد الحروب والفتن ما فعله البربر والنصارى بالتراث الفكرى العربى وبأهله فى بلاد الأندلس، فالبربر وفى أثناء هجومهم على (قرطبة) لم يميزوا بين الرجال والنساء والأطفال والعجزة، بل اقتحموا المنازل وهاجموا قاطنيها

بغير تمييز(٢٠٥)، وكان من ضمن تلك المنازل منزل العلامة الفقيه المحدِّث محمد بن قاسم بن محمد الأموى القرطبى فقد قتلوه وهو الذى قال عنه (ابن بشكو ال): «إنه كان حافظا للفقه، ذاكراً للأخبار والشواهد، بصيرا بالعقود والوثائق، حليما أديبا ظريفا، جميل المشاركة لإخوانه، حسن الأخلاق سمحا، قضاء للحوائج(٢٠٦)، كما قتلوا القاضى (ابن الفرضى) صاحب (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس) و(المؤتلف والمختلف)، وهو فقيه وعالم بالحديث(٢٠٧)، وإلى جانب عمل البربر بالناس، فقد نهبوا الكتب ومن ضمنها مكتبة أبى المطرف عبد الرحمن بن فطيس، فقد ظلت كتبها تباع فى شوارع قرطبة من قبل ناهبيها لمدة عام كامل(٢٠٨)، كما نهبوا مكتبة العلامة الحافظ عمر بن عبد الله الذهلى الزهراوى (ت٤٥٤ هـ)، فقد شدَّ ثمانية أحمال منها بهدف الفرار بها، فلحقه البرابرة ونهبوها(٢٠٩)، على أن نهبهم لم يتوقف على الكتب حسب، بل نهبوا مدنا بكاملها كالزهراء، وسلبوا جامع قرطبة حتى قناديله ومصاحفه وصفائح أبوابه(٢١٠)، قال الشاعر واصفا الحال مع البربر(٢١١):

قد بلغ البربر فينا بنا ... ما أفسد الأحوال والنظما

كالسهم للطائر لولا الذى ... فيه من الريش لما أصمى

قوموا بنا فى شأنهم قومة ... نزيل عنا العار والرغما

أما النصارى، «فقد كانت الكتب بؤرة أحقادهم وهدفا لسخطهم، إذ - صبوا عليها جام حقدهم المتأجج»(٢١٢)، فقد أحرقوا فى ساحة غرناطة بقرار من ديوان محاكم التفتيش معظم ما حوته المكتبة العربية فى تلك البلاد، فكان أكبر حريق للمؤلفات شهدته الأرض كان الدافع له الحقد والبغض والكراهية، بل إنه شاهد على بربرية ووحشية رجال

الكنيسة تجاه بقايا المسلمين أو الموريسكيين(٢١٣)، ويكفينا دلالة على ذلك ما فعله الكاردينال (سيسه بورس) فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى، إذ جمع المخطوطات العربية فى باب الرملة بغرناطة وأحرقها، وكانت تقترب فى عددها من المليون مخطوطة لم يُبق منها الحريق إلا على مائة وخمسين مخطوطة فى الطب(٢١٤).

إن الحقد ضد الفكر الأندلسى قد تواصل، إذ نجده فى كتابات المستشرقين فكان لهم موقف معروف نبع من الصراع بين الدراسات قديما، فقد احتدم الصراع بين الثقافات العربية الإسلامية واللاتينية المسيحية والعبرية اليهودية على أرض الأندلس، ثم انتقل إلى المستشرقين، فبعضهم يتجه لسلب هوية الفكر العربى الإسلامى فى تلك البلاد وبنسبه للفكر الأسبانى الذى نتج فى نظرهم عن الدراسات اليونانية واللاتينية والمسيحية، خاصة الدراسات الفلسفية، وذلك كما فعل ريمون مارتى ورامون يول، وألفونسو الحكيم وغير هؤلاء من طلبة مدرسة طليطلة للترجمة، كما نجد (لاسين بلاثيوس) يحاول مسح أثر الفكر العربى الإسلامى فى الفكر الأوروبى ولكنه لم ينجح(٢١٥).

إننى أرى أن التسامح الذى كان على تراب تلك الأرض هو السبب فى ظهور هذه الدراسات الاستشراقية لتحاول سلب الهوية العربية الإسلامية من الفكر الذى شاع فى أوروبا «فبعد أن تقوت شوكة المسيحية وكانت الضربة القاضية بسقوط غرناطة التى طوت صفحة مشرقة من حضارة بنيت على التواصل جاءت لتفتح صفحة حضارة بنيت على القسوة والتصلب الدينى والعرقى»(٢١٦).

وبعد:

فما دام هذا هو الحال، فإن كل الدراسات الاستشراقية تنطلق من هذا المنطلق إلا ما ندر، فجلها قد سعى لطمس حضارة كاملة اعترفت زيغريد هونكة[٢١٧] وأمثالها بتأثيرها فى أوروبا، وإذا كان الشاهد منهم فإن فى ذلك دلالة على وجود اعتراف ولكن الحقد من قبل من كان يعيش فى ظلمة دامسة هو الذى يدفعه لتغيير الحقائق، على أن هذه النظرة يستوى فيها المستشرق الذى عاش فى العصور الماضية أو فى العصور اللاحقة، فكلهم ينطلقون من منطلق النزعة الأوروبية الضيقة، ولذا فلا فرق بين بلاثيوس وأميليونمرسيه غومس الذى توفى حديثا، وهو الذى سجل موقفه من الشعر الأندلسى فى كتابه «الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه» ذلكم الذى ركز فيه على النطيحة من الشعر الأندلسى إلا ما ندر، كما زعم فى دراسة من دراساته الأخرى أن قصة ابن طفيل (حى بنى يقظان) قد اعتمدت على قصة موريسكية تنسب لأجداد الموريسكيين المسلمين من معاصريه وأنها ألهمت ابن طفيل عمل قصته هذه[٢١٨]، وكل هذه محاولة منه لنفى أصالتها[٢١٩].

وإذا كان الأمر كذلك فلا ننسى دورنا نحن العرب بالنسبة لفكر الأجداد فى بلاد الأندلس، فبعض دراساتنا تركز على جزئيات لا تمثل ذلك التاج المتميز بأى حال، والبعض الآخر منا يسعى لهلهة الفكر الأندلسى، مثل: الأدب العربى فى قرطبة أو إشبيلية، أو فى دانية.. وهذا فى نظرى يعد رافدا آخر للدراسات التى تغتال هذا الفكر.

وعلى أية حال، وبالرغم من تعداد وتلون السهام التى وجهت إلى الفكر الأندلسى فإننا نجده كجبل (ابن خفاجة) ذلكم الذى تحدَّث عنه فى قصيدته المعروفة لدينا، فقد بقى هذا الفكر صامدا لم يتأثر بالرياح العاتية وبعوامل التعرية التى تدور ودارت حوله(٢٢٠):

وأرعن طماح الذؤابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب

يسد مهب الريح عن كل وجهة ويزحم ليلا شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالى مفكر فى العواقب

إننا إن احتفلنا بحضارة الأندلس أو أسهمنا فى اغتيالها، فإن ذلك لن يزيد فى قيمتها أو ينقص من قدرها، فهى حضارة قائمة بذاتها، معبرة عن نفسها جامعة فى محتواها الأسباب المادية والروحية، وهى أسباب جعلتها تنمو مع الأيام وتبقى صامدة كسفينة لم تختل قيادتها، ولم تتأثر بالأمواج والرياح العاتية.

الهوامش والتعليقات

(١) من النفح. . ، ج١، ص٢٢٠ .

(٢) من السابق، الصفحة نفسها.

(٣) من السابق، ص٢٢١.

(٤) من السابق، الصفحة نفسها.

(٥) انظر: الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، ص٤١٤.

(٦) من النفح ... ، ج١، ص٢٢٢.

(٧) من السابق، الصفحة نفسها.

(٨) من كتاب: فى حوار حول الحاضر بالماضى عبر الأندلس، ص١٠٥.

(٩) من كتاب: التفاعل الثقافى بين المغرب والمشرق فى آثار ابن سعيد، ص٥٤.

(١٠) من: تاريخ الكتابة التأريخية، ج٢، ص٥.

(١١) من: حضارة العرب فى الأندلس، ص٤٢.

(١٢) انظر: ديوان ابن شهيد، ص١٠٩ ـ ١١١.

(١٣) من: الشعر العربى فى إسبانيا وصقلية، ص٦١.

(١٤) من السابق، ص٦٢.

(١٥) من السابق، الصفحة نفسها.

(١٦) انظر: تاريخ آداب العرب، ج٣، ص٢٨٠ وانظر قبله: النفح، ج٣، ص١٩٠.

(١٧ انظر: الـنفح. . ، ج٣، ص١٩٠، وقـد وردت هذه الحكـاية فى رسالة (ابن حزم) فى تفـصيل الأندلس، ص١٧٢ من نفس الجزء، وانظرها أيضـا فى كتـاب: الشعـر العربى فى إسـبانيـا وصقلـية، ص٦٢، وقد جـعل (فون شاك) ابن حزم راوية لهـذه الحكاية، أما مؤلف الكتاب فهو أبو غالب اللغوى.

(١٨) من الشعر العربى فى إسبانيا وصقلية، ص٦٣.

(١٩) انظر هذه الجزئية فى البيان المغرب، ج٤، ص١٣٠ ـ ١٣٨.

(٢٠) انظر: السابق، ص١٣١.

(٢١) انظر: السابق ص١٣٢، وقد تحدثت فى الصـفحات من ١٣٠ وما بعدها عن معركة الزلاقة.

(٢٢) من: السابق، ص١٤٠.

(٢٣) البيتان من قصيدة لأبى بكر الدانى المعروف بابن اللبانة، ومطلعها:

لكل شىء من الأشـيـاء ميـقات وللمنى من منـاياهـن غايات

انظر: القلائد... ، ص٣٢ ـ ٣٤، وينبـغى أن نلحظ أن هناك أبيات ثلاثة بين البيتين.

(٢٤) القائل هو نفس الشاعر (ابن اللبانة). انظر: السابق، ص٢٥.

(٢٥) الشاعر نفسه، والمصدر نفسه، والقصيدة نفسها، انظر ص٢٥.

(٢٦) انظر الشـعر فـى عهـد المرابطين والموحـدين بالأندلس، ص٢١، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الموحدين، ص٢٠ وما بعدها.

(٢٧) انظر: السابق، ص٢٢.

(٢٨) الشاعر هو يحيى بن سهل اليكى، والبيت من مقطوعة له. انظر: المغرب ... ، ج٢ ، ص٢٦٧ .

(٢٩) الشاعر هو الأعمى التطيلى، والبيت من مقطوعة له وردت فى ديوانه ودرست فى كتاب (الأعمى التطيلى ـ حياته وأدبه)، ص١٥٦ .

(٣٠) انظر: عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس، ج١، ص٣٠٥ .

(٣١) انظر: السابق، ص٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

(٣٢) من السابق، ص٣٢٦ .

(٣٣) الشاعر هو: أحمد بن سيد الإشبيلى، انظر ما كتب عنه فى هامش ص١٥٥ من كتاب (المن بالإمامة ...)، وانظر القصيدة ص١٥٦ وما بعدها، وانظر: المعجب ... ، ص٢١٧ وما بعدها.

(٣٤) الشاعر هو أبو بكر بن المنخل الشلبى. انظر ما كتب عنه فى هامش ص١٥١ من كتاب (المن بالإمامة)، وانظر القصيدة التى منها البيت السابق فى الصفحات من ١٥١ ـ ١٥٥ .

(٣٥) من الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص٨٨، وانظر: النفح ... ، ج٤، ص١٧٢ .

(٣٦) من المعجب ... ، ص٣٣٥ .

(٣٧) من السابق، الصفحة نفسها.

(٣٨) انظر: البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر عصر الطوائف، ص٥٧ .

(٣٩) انظر: تـاريخ الأدب الأندلسى (عـصـر الطوائف والمـرابطين)، ص١٧٧ .

(٤٠) انظر: الشعـر الأندلسى، بحث فى تطوره وخصـائصه، ص٤١، وانظر: طوق الحمامة... ، ص٢٠١ .

(٤١) انظر: الحلة السيراء، ج١، ص١٤ ـ ١٥ .

(٤٢) من: الشـعـر نقـادا، ص١٦٢ .(٤٣) من: السـابق، ص١٥٩، والأغانى... ، ج٨، ص٣٧ .

(٤٣) من: السابق، ص١٥٩ ، والأغانى... ، ج٨، ص٣٧ .

(٤٤) انظر: سيكولوچية الإبداع فى الفن والأدب، ص١٨١ .

(٤٥) من السابق، ص١٧٧ .

(٤٦) من: حول الأديب والواقع، ص١٨ ـ ١٩ .

(٤٧) انظر: الشكوى من العلة فى أدب الأندلسيين، ص٢٣ .

(٤٨) من النفح... ، ج١، ص٣٧٩ .

(٤٩) من: الحلة السـيـراء، ج٢، ص٨٣ ـ ٨٤، والمغـرب... ، ج٢، ص١٩٦، وانظر: المعتمد بن عباد، ص٢٨٤ .

(٥٠) من: الحلة السيراء... ، ج٢، ص٥٥ .

(٥١) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٥٢) انظر: الذخيرة، ق٢، م١ ص٦٩ ـ ٧٠ .

(٥٣) من: المعتمد بن عباد، ص١٥ .

(٥٤) انظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة... ، هامش ص٢٠٤ .

(٥٥) من بحث بعنوان: الشكوى من العلة فى أدب الأندلسيين، ص٢ ـ ٣ .

(٥٦) من: نهاية الأندلس، ص٢٦٧ .

(٥٧) من السابق، الصفحة نفسها.

(٥٨) البيت من قصيدة لابن الأبار التى نسبها الدكتور عنان لمجهول. انظر السابق الصفحات من ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٥٩) انظر: ما كتب على الغلاف الأخير من كتاب: اللغة والتفسير والتواصل، الورقة الأخيرة.

(٦٠) انظر: المدخل فى دراسة الأدب، ص١٠٩ .

(٦١) الشاعر مجهول. انظر النفح... ، ج١، ص٢٢٧، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة... ،ص١٠٦ ـ١٠٧ . (٦٢) الشاعر (ابن خفاجة). انظر ديوانه، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف... ، ص١٠٧ .

(٦٣) انظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة... ، الصفحة نفسها.

(٦٤) انظر: ديوان (ابن خفاجة)، وانظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٣٣٦ .

(٦٥) انظر: النفح... ، ج٤، ص٣٥٢ ولم ينسبها لأحد.

(٦٦) الحكاية مع الأبيات من: فى الشـعر الأندلسى، ص٤٣، ٤٤ وهى مأخـوذة من نفح الطيب... ، ج١، ص١٥٥ مع تغييـر وحذف فى بعض الكلمات.

(٦٧) من: ظهر الإسلام، ص٨ .

(٦٨) المناظرة كتلك التى أجراها الأديب أبو بحـر صفوان بن إدريس بين المدن الأندلسية. انظر: الشعر الأندلسى، ص٣٦ .

وأما الرسائل، فكرسائل ابن غالب وابن سعيد والحميدى وابن بسام والحجازى، وما كتبـه ابن حزم والشقندى فى تفضيل الأندلس على غيرها. انظر: النفح... ج٣، ص١٥٠ ـ ١٨٦ .

(٦٩) من: المرايا المتـجـاورة، ص١٤٥، وانظر: رؤية جـديدة لشـعـرنا القديم، ص٢٦٣ .

(٧٠) انظر: الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة ص١٢٤.

(٧١) انظر: رؤية جديدة لشعرنا القديم، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٧٢) كان (لوركا) قـد قال من قبل: «إن الشعـر والصدق لا يموتان مع الزمن». انظر: السابق، ص٢٩٠ .

(٧٣) من السابق، ص٢٦٢ .

(٧٤) انظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٣٣٢، وانظر الأبيات فى: الحلة... ، ج١ ص٣٧ وهى من شعر الأمير عبد الملك بن بشـر بن مـروان بن الحكم، وقـد قالهـا عند دخـوله إلى الأندلس أيام الداخل، فقد رأى النخلة فى حديقـة الرصافة فهاجت أشجانه، وقـد سمعها الداخل، ثم تمثل بهـا وهذه أشجان لم تؤثر

فيها كراهية العباسيين للأمويين ونبش قبور أمرائهم. انظر فى هذه الجزئية بحث له بعنوان: الانتماء فى الأدب الأندلسى، ص٤، وانظر: الشعر العربى فى إسبانيا وصقلية، ص٥٣ .

(٧٥) انظر: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٩٠، وهى فى المغرب فى حلى المغرب، ج١ ص١٠٣ وتنسب للقاضى معاوية بن صالح.

(٧٦) من: الأدب العربى فى الأندلس، ص١٦٤ .

(٧٧) انظر: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة)، ص٤٥، وانظر: اتجاهات الشعر الأندلسى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى، ص٤١، وانظر: ظاهرة الانتماء فى الأدب الأندلسى، ص٢ .

(٧٨) من: اتجاهات الشعر الأندلسى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى، ص٤٤ .

(٧٩) انظر: الانتماء فى الأدب الأندلسى، ص٣ .

(٨٠) الشاعر هو: أبو المخشى عاصم بن زيد. انظر ما كتب عنه فى كتاب: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٩٨ وما بعدها، وقد أشار فى هامش الصفحة إلى مصادر دراسته، وانظر البيتين فى ص٨٢ وهما جزء من قصيدة للشاعر. وانظر أيضا كتاب: اتجاهات الشعر الأندلسى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى، ص٥٨ وما بعدها.

(٨١) من كتاب: الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص١١٠ .

(٨٢) من السابق، الصفحة نفسها.

(٨٣) انظر: الذخيرة...، ق١، م٢، ص٦١٤ وما بعدها.

(٨٤) انظر: صفة جزيرة الأندلس، ص٣، وانظر: النفح...، ج١، ص١٢٦ .

(٨٥) انظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٢٧١ .

(٨٦) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية...، ص٥٠ .

(٨٧) من: دول الطوائف، ص٥٣ .

(٨٨) من: البيان المغرب...، ج٣، ص٢٨٤ .

(٨٩) من: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص٩٦ ـ ٩٧، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية، ص٥٠ مشبها فيها المعتضد بأبى جعفر المنصور، مستعينا فى ذلك على المعجب، ص٩٧ .

(٩٠) انظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة...، ص٥٠ ـ ٥٢، وانظر أيضا: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣، ففيهما بيان بأسماء الشعراء فى الأندلس ومن شبهوا به فى المشرق وكذا الكتاب.

(٩١) انظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٩٢) انظر ما كتب عن سليمان بن الحكم فى الذخيرة...، ق١، م١، ص٣٥ وما بعدها، وانظر أبياته ص٤٧ ـ ٤٨ .

(٩٣) انظر: السابق، ص٤٧ .

(٩٤) انظر: العقد، ج٦، ص٢١١ .

(٩٥) انظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٢٨١ .

(٩٦) انظر: السابق، ص٢٦٨، ٢٨٢، ٢٨٥ .

(٩٧) انظر: السابق، الصفحات السابقة.

(٩٨) انظر: السابق، ص٢٨٢ .

(٩٩) انظر: النفح... ، ج٣، ص٢٩٣، وص٤٥٤، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ، ص٧٢ .

(١٠٠) انظر: الذخيرة، ق١، م١، ص٣٦٢ .

(١٠١) انظر: السابق، ص٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(١٠٢) انظر: ديوان ابن سهل، ص٣٦ .

(١٠٣) انظر: المغرب فى حلى المغرب، ص٣٩١ .

(١٠٤) انظر: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٤١، وكان (القزوينى) قد تحدث فى هذه الجزئية عن (شلب).

(١٠٥) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية فى أوروبة)، ص٥٠٣، وانظر: الحلة السيراء بجزئيه، والذخيرة بأجزائه، وقلائد العقيان، والمغرب... ، والنفح... إلى غير ذلك من الكتب التى جمعت أعلام الأندلس.

(١٠٦) انظر: المغرب... ، ج٢، ص٤٤٤ ـ ٤٤٥، وقد ترجم له، كما أشار المحقق إلى مصادره.

(١٠٧) انظر: زاد المسافر، ص١٣٠، وانظر: المجالس الأدبية فى الأندلس، ص٩٦ ـ ٩٧ .

(١٠٨) هو ابن جاخ الصباغ البطليوسى. انظر ما كتب عنه فى هامش ص٤٥٢ من كتاب النفح ... ، ج٣، وقد أشار المحقق فيها إلى مصادر دراسته.

(١٠٩) كان صاحب النفح قد قال: «هو من أعاجيب الدنيا». انظر السابق، الصفحة نفسها.

(١١٠) انظر: النفح، ج٤، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

(١١١) انظر: المجالس الأدبية فى الأندلس، ص٩٤ وقد أشار مؤلفه إلى ترجمة الشاعر ومصادر دراسته.

(١١٢) من: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٢٦٩ وص٢٧٥ .

(١١٣) من بحث لنا بعنوان: «الانتماء فى الأدب الأندلسى»، ص١٧ وقد تمت الإشارة إلى مصادر دراسته.

(١١٤) من: حضارة العرب فى الأندلس، ص٢٧ .

(١١٥) انظر: ابن عبد ربه وعقده، ص٣٩ .

(١١٦) من السابق، الصفحة نفسها.

(١١٧) انظر: النفح ... ، ج٣، ص١٧٣، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة. . ص٥٥ .

(١١٨) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة ... ص٥٥ .

(١١٩) انظر: الانتماء فى الأدب الأندلسى، ص١٣ .

(١٢٠) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ص٥٦ .

(١٢١) من: مقدمة المؤلف لكتابه (البديع فى وصف الربيع)، ص٤ .

(١٢٢) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ص٥٢ .

(١٢٣) انظر: السابق، ص٥٣ .

(١٢٤) انظر: السابق، ص٥٢ .

(١٢٥) انظر: السابق، ص٥٤ .

(١٢٦) من النفح... ، ج٢، ص٤٩٤ .

(١٢٧) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ص٥٤ .

(١٢٨) انظر: الشكوى من العلة فى أدب الأندلسيين، ص٥٢ (بحث مخطوط).

(١٢٩) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ص٧٥ .

(١٣٠) انظر: البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر (عصر ملوك الطوائف)، ص١٦٥ ـ ١٦٧ .

(١٣١) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ص٥٤ .

(١٣٢) انظر: النفح...، ج٣، ص١٥٣ ـ ١٥٤ .

(١٣٣) من: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ص٥٦ .

(١٣٤) من مقدمة الذخيرة...، ق١، م١، ص١٢ ـ ١٣ .

(١٣٥) من كتاب: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة... ص٧٥، وانظر الجزئية التى قبلها فى المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(١٣٦) من: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٤٥، أما القصيدة فانظرها مع حكايتها، ص١٤٣ ـ ١٤٤ .

(١٣٧) من النفح...، ج٣، ص٣٠٧ .

(١٣٨) من السابق. ص١٨٦ وما بعدها.

(١٣٩) انظر: الذخيرة...، ق١، م١، ص١٣٣ ـ ١٣٦، وانظر: النفح...، ج٣، ص١٥٦ ـ ١٥٧ مع اختلاف فى بعض الألفاظ بين المصدرين فى الرسالة المذكورة.

(١٤٠): انظر: التفاعل الثقافى بين المغرب والمشرق، ص٥٥ .

(١٤١) انظر: السابق، ص٥٥ ـ ٥٦ .

(١٤٢) انظر: السابق، ص١٥٠ ـ ١٥١ .

(١٤٣) من: الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه، ص٥٦ .

(١٤٤) من بحث بعنوان: «إسهام علماء الأندلس فى تأصيل الفكر الإسلامى ـ ابن حزم أنموذجا، ص٤ .

(١٤٥) انظر: بحث بعنوان: «أدباء الأندلس ـ إسهاماتهم وتأثيرهم فى الحركة الأدبية العربية خلال القرن السابع والثامن الهجريين، ص١».

(١٤٦) انظر: السابق، ص٣ .

(١٤٧) من بحث بعنوان: «ظاهرة الانتماء فى الأدب الأندلسى»، ص٢٠ .

(١٤٨) من السابق، الصفحة نفسها، وقد أشار صاحبه إلى مصادر هذه الجزئية.

(١٤٩) انظر: البحث المعنون بـ«معاجم الأفعال: جهود أندلسية رائدة وعلامة بارزة فى صرح الثقافة الإسلامية «البحث بهذا العنوان وقد تناول فى صفحاته هذا الموضوع.

(١٥٠) انظر: البحث المعنون بـ: إسهامات وجهود اللغويين الأندلسيين وجهودهم فى رفد الثقافة العربية الإسلامية، انظر العنوان، وص٦٠.

(١٥١) من النفح ...، ج٥، ص٥٤٤ .

(١٥٢) انظر: عن ابن سعيد وأبياته البحث المعنون بـ «إنجازات علماء الأندلس فى ميدان الجغرافيا»، ص١٣ ـ ١٤ .

(١٥٣) انظر: البحث السابق ص١٤ .

(١٥٤) من: فى حوار حول الحاضر بالماضى عبر الأندلس، ص١٠٤ .

(١٥٥) انظر: البحث المعنون بـ «ظاهرة الانتماء فى الأدب الأندلسى»، ص٢١ .

(١٥٦) من: شعر التروبادور، ص١٢ .

(١٥٧) من: السابق، الصفحة نفسها.

(١٥٨) انظر: فى حوار الحاضر بالماضى عبر الأندلس، ص١٠٣ .

(١٥٩) انظر: الأندلس فى التاريخ، ص ١٦٠ .

(١٦٠) من: النفح ... ، ج٣، ص٥٦٦، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة ... ، ج٣، ص٥٧ .

(١٦١) انظر: تاريخ آداب العرب، ج٣، ص٢٩٥ .

(١٦٢) من: النوريات فى الشعر الأندلسى، ص٦١ نقلا عن (فى الأدب الأندلسى)، ص٣٣ .

(١٦٣) انظر: ملامح التجديد فى النثر الأندلسى خلال القرن الخامس الهجرى، هامش ص٩٩ .

(١٦٤) من السابق، هامش الصفحة نفسها.

(١٦٥) القائل (ابن خفاجة). انظر ديوانه، وانظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٣٣٦ .

(١٦٦) انظر: عن حادثة هيج الربض «تاريخ افتتاح الأندلس» وأثرها فى الأندلس عامة وقرطبة بصفة خاصة، ص٦٤ ـ ٦٩ .

(١٦٧) انظر: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة)، ص٩٦ .

(١٦٨) انظر: السابق، ص١١٦ .

(١٦٩) انظر: السابق، ص١٣٧ .

(١٧٠) من الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص٥٥.

(١٧١) من: الذخيرة...، ق٣، م١، ص٩ ـ ١٠ .

(١٧٢) من السابق، ص١٠، وانظر الأبيات فى الصفحة نفسها.

(١٧٣) من: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة)، ص١٣٨ .

(١٧٤) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(١٧٥) انظر: السابق، ص١٤١، وقبله انظر: الذخيرة، ق١، م١، ص١٦٣ .

(١٧٦) من السابق، الصفحة نفسها (عصر سيادة قرطبة) لا الذخيرة.

(١٧٧) انظر: تاريخ الأدب الأندلسى ـ عصر الطوائف والمرابطين ـ ص١٨٨ ـ ١٨٩ .

(١٧٨) انظر: السابق، ص٣٢ ـ ٣٥ وقد أسماه (بالجلاء).

(١٧٩) من السابق، ص٣١ .

(١٨٠) من: الشعر الأندلسى: بحث فى تطوره وخصائصه، ص٥٧، وانظر: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر الطوائف والمرابطين)، ص٧٩.

(١٨١) انظر: الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره...، ص٥٦ .

(١٨٢) انظر: السابق، ص٥٧ ـ ٥٨ .

(١٨٣) انظر: الأدب الأندلسى (عصر الطوائف والمرابطين)، ص٩٠ .

(١٨٤) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(١٨٥) من: حضارة العرب فى الأندلس، ص٢٢ .

(١٨٦) انظر: الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه، ص٦٩.

(١٨٧) انظر: الدراسات اللغوية فى الأندلس خلال القرنين ٦ ـ ٧ الهجريين، ص٥٣، وص٨٠، وص٢١٧ .

(١٨٨) انظر: الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه، ص٧١ ـ ٧٢، وانظر: تاريخ الفكر الأندلسى، ص١٣٧ .

(١٨٩) من: نهاية الأندلس، ص٢٨٠ .

(١٩٠) انظر: السابق، الصفحة نفسها، والبيت من قصيدة (للعقيلى) الذى رحل مع أميره ابن الأحمر إلى فاس، وقبله، انظر: النفح، ج٤، ص٥٢٩ .

(١٩١) من: النفح... ، ج٤، ص٤٤٤ .

(١٩٢) من: السابق، ج١، ص٣٣٩ .

(١٩٣) انظر: العرب فى الأندلس، ص٧١ .

(١٩٤) انظر: النفح... ، ج١، ص٣٤٣ .

(١٩٥) انظر: السابق، ج٥، ص١١٠ ـ ١١٢ .

(١٩٦) من بحث لنا بعنوان: الشكوى من العلة فى أدب الأندلسيين، ص٤٩ .

(١٩٧) من السابق، ص٥٢ ـ ٥٣ .

(١٩٨) انظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة... ، ص٤٨ .

(١٩٩) من: المطرب فى أشعار أهل المغرب، ص١٤٨، وانظر: النفح...، ج٢، ص٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٢٠٠) انظر: فى الأدب الأندلسى، ص٣٠٦ .

(٢٠١) مثل (ابن بسام) الذى أحجم عن ذكر الموشحات فى كتابه.

(٢٠٢) انظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص٢٥٥.

(٢٠٣) من: اللغة والتفسير والتواصل، ص٢٦٦ .

(٢٠٤) انظر: السابق، ص٢٦٧ .

(٢٠٥) انظر: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص٥٧ .

(٢٠٦) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٢٠٧) انظر: ما كتب عنه ومصادر ترجمته فى هامش ص٦١٤ من كتاب (الذخيرة)، ق١، م٢ .

(٢٠٨) انظر: الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف فى الأندلس، ص٦٢ .

(٢٠٩) انظر: السابق، الصفحة نفسها، وقبله (عصر الطوائف والمرابطين)، للدكتور إحسان عباس، ص٥٦ .

(٢١٠) انظر: الحياة العلمية...، ص٥٥ وما بعدها، وانظر ما كتبه د. إحسان عباس فى كتابيه (عصر سيادة قرطبة وعصر الطوائف والمرابطين) عن آثار هذه الفتنة، وانظر قبلها الذخيرة، ق١، م١، فى صفحاته الأولية بعد حديثه عن المستعين، وق٣، م١، ص٩ ـ

١٠، وانظر: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة... ، ص١٣ وما بعدها.

وانظر بحثنا بعنوان (أثر فتنة قرطبة على المرتكزات النفسية والأخلاقية لابن حزم)، ص٢ وما بعدها.

(٢١١) الأبيات للمرتضى المروانى. انظرها فى كتاب: الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة... ، ص٨٨ .

(٢١٢) من بحث بعنوان: (إنجازات علماء الأندلس فى ميدان الجغرافيا)، ص٢ .

(٢١٣) انظر: السابق، ص٢ ـ ٥ .

(٢١٤) انظر: فى حوار حول الحاضر بالماضى عبر الأندلس، ص٩١.

(٢١٥) انظر بحثنا بعنوان: «الفكر الإسلامى بالأندلس فى تصورات الاستشراق الأسبانى الحديث، ملاحظات واقتراحات، ص١٨ وما بعدها.

(٢١٦) من بحث بعنوان: «التراث الإسلامى الأندلسى فى ميزان الاستشراق الأسبانى المعاصر ـ نماذج مختارة، ص٢ .

(٢١٧) صاحبة كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب ـ أثر الحضارة العربية فى أوروبة.

(٢١٨) انظر: عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ص٥١٥ .

(٢١٩) من: السابق، الصفحة نفسها.

(٢٢٠) انظر: فى الأدب الأندلسى، ص١٤١، وانظر: ديوان ابن خفاجة، ص٣٩٢ .

الفهارس

أولا: المصادر .. والمراجع

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار... :

الحلة السيراء. حققه وعلق عليه د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

أدهم، على... :

المعتمد بن عباد. المركز العربى للثقافة والعلوم، بيروت.

أسعد، يوسف ميخائيل... :

سيكولوچية الإبداع فى الفن والأدب. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.

أمين، أحمد... :

ظهر الإسلام. دار الكتاب العربى، بيروت، ط٥ .

الأندلسى، ابن سهل... :

ديوان ابن سهل الأندلسى. دراسة وتحقيق يُسرى عبد الغنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.

الأندلسى، ابن شهيد... :

ديوان ابن شهيد الأندلسى. جمعه وحققه يعقوب زكى، راجعه د. محمود على مكى، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة.

الأنصارى، د. محمد جابر... :

التفاعل الثقافى بين المغـرب والمشرق فى آثار ابن سعيد. دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٩٩٢م.

بارنز، هارى إلمر... :

تاريخ الكتابة التـأريخية، ج٢ . ترجـمة د. محـمد عبـد الرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٧م.

بالنثيا، آنخل... :

تاريخ الفكر الأندلسى. تعريب د. حـسين مؤنس، الإدارة الثقـافية لجامعة الدول العربية، القاهرة.

بدر، د. عبد المحسن طه... :

حول الأديب والواقع. دار المعارف، مصر ط٢ .

بروفنسال، ليفى... :

حضـارة العرب فى الأندلس. ترجـمة ذوقان قـرقوط، دار مكتـبة الحياة، بيروت.

البشرى، د. سعد بن عبد الله... :

الحياة العلمـية فى عصر ملوك الطوائف فى الأنـدلس. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٤ هـ.

البغدادى، د. مريم... :

شعراء التروبادور. تهامة، جدة، ط١، ١٤٠١ هـ.

المدخل فى دراسة الأدب. تهامة، جدة، ط١، ١٤٠٢ هـ.

بهجت، د. منجد مصطفى... :

الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقط غرناطة ٩٢ ـ ٨٩٧هـ، بالتعاون بين دار الكتب للطباعة والنشر وجامعة الموصل، ١٤٠٨ هـ.

بيريس، هنرى... :

الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف ـ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية. ترجمة د. الطاهر مكى، دار المعارف، مصر ١٤٠٨ هـ.

التلمسانى، الشيخ أحمد بن محمد المقرى... :

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيرو، ١٣٨٨ هـ.

ثقفان، د. عبد الله... :

المجالس الأدبية فى الأندلس. نادى أبها الأدبى، ط١، ١٤١٥هـ.

جبور، د. جبرائيل... :

ابن عبد ربه وعقده. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.

الحميرى، أبو الوليد إسماعيل... :

البديع فى وصغ الربيع. حققه وعلق عليه د. عبد الله العسيلان، دار المدنى، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ.

الحميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله... :

صفة جزيرة الأندلس. نشره ليفى بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ.

ابن خاقان، الفتح... :

قلائد العقيان فى محاسن الأعيان. قدَّم له ووضع فهارسه محمد العنابى، المكتبة العتيقة بتونس.

ابن دحيّة، أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية... :

المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق إبراهيم الأبيارى، ود. حامد عبد المجيد، صدر فى القاهرة، ١٩٩٣م.

الرافعى، مصطفى... :

تاريخ آداب العرب، ج٣، دار الكتاب العربى، بيروت، ط٢، ١٣٩٤ هـ.

السامرائى، د. نعمان... :

تفسير التاريخ، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٤ هـ.

السعيد، د. محمد مجيد... :

الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس. صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة والإعلام فى بغداد ودار الرشيد، ١٩٨٠م.

سويف، د. مصطفى... :

الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة. دارالمعارف، مصر، ط٤ .

السيوفى، د. مصطفى... :

ملامح التجديد فى النثر الأندلسى خلال القرن الخامس الهجرى. دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

شاك، فون... :

الشعر العـربى فى إسبانيا وصـقلية، ج١، ترجمة الدكـتور الطاهر مكى، دار المعارف، ط١، ١٤٠٥ هـ.

شلبى، د. سعد... :

البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر (عصر ملوك الطوائف). دار نهضة مصر.

الشنتريني، أبو الحسن على بن بسام... :

الذخيرة فى محاسن أهل الجيرة. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك... :

تاريخ المن بالإمامة، السـفر الثانى. استخـرجه وحققه عـبد الهادى التازى، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٣٨٣هـ.

ضيف، د. شوقى... :

الفن ومذاهبه فى الشعر الربى. دار المعارف، مصر، ط١٠ .

الفن ومذاهبه فى النثر العربى. دار المعارف، مصر، ط١٠ .

الطيار، رضا عبد الجليل... :

الدراسات اللغـوية فى الأندلس منذ مطلع القرن السادس الهـجرى حتى منتصف القـرن السابع الهجرى ـ عصـر المرابطين والموحدين ـ صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

عباس، د. إحسان... :

تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قـرطبة). دار الثقافة، بيروت، ط٦، ١٩٨١م.

تاريخ الأدب الأندلسى (عصـر الطوائف والمرابطين). دار الثقـافة، بيروت، ط٦، ١٩٨١م.

ابن عبد ربه، الفقيه أحمد بن محمد... :

العقد الفريد. تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت.

عتيق، د. عبد العزيز... :

الأدب العربـى فى الأندلس. دار النهضـة العربيـة، بيروت، ط٢، ١٣٩٦هـ.

عصفور، د. جابر... :

المرايا المتجـاورة ـ دراسة فى نقـد طه حسين ـ صدر ضـمن سلسلة (دراسات أدبية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

عنان، د. محمد عبد الله... :

دول الطوائف من قيـامها حـتى الفتح المرابطى (العصـر الثانى) من كتاب دولة الإسلام فى الأندلس. مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٢ .

عصر المرابطين والموحـدين فى المغرب والأندلس (بقسميـه). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين. مكتـبة الخانجى، القاهرة، ط٤، ١٤٠٨ هـ.

عيسى، د. فوزى سعد... :

الشعر الأندلسى فى عصر الموحدين. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م.

غريب، جورج... :

العرب فى الأندلس. دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

غومس، إميليو غرسيه... :

الشعر الأندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه. ترجمة الدكتور حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية.

فتح الباب، د. حسن... :

رؤية جديدة لشعرنا القديم. دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

فكار، د. رشدى... :

فى حوار حول الحاضر بالماضى عبر الأندلس. تقديم سيد أبو دومة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١١ هـ.

القزوينى، زكريا بن محمد... :

من آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر، بيروت.

ابن قوطية، أبو بكر محمد بن عمر... :

تاريخ افتتاح الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبيارى. صدر ضمن سلسلة المكتبة الأندلسية عن دار الكتاب المصرية واللبنانى، ط٢، ١٤١٠هـ.

محمود، نافع... :

اتجاهات الشعر الأندلسى إلي نهاية القرن الثالث الهجرى. دار الشئون الثقافية العامة فى بغداد، ١٩٩٠م.

المراكشي، ابن عذارى... :

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ج. س. كولان وليفى بروفنسال، والدكتور إحسان عباس (ج٤)، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

المراكشي، عبد الواحد... :

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب. صححه محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ.

المرسي، أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبى... :

زاد المسافر وثمرة محيا الأدب السافر. أعدّه وعلق عليه عبد القادر محداد، دار الرائد العربى، بيروت، ١٩٨٠م.

مصطفي، شاكر... :

الأندلس فى التاريخ. صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠م.

مصطفي، د. عدنان صالح... :

فى الشعر الأندلسى. دار الثقافة، الدوحة، ط١، ١٤٠٧ هـ.

المطلبي، د. عبد الجبار... :

الشعراء نقادا. دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

المغربي، ابن سعيد... :

المغرب فى حلى المغرب. حققه وعلق عليه د. شوقى ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣ .

مقداد، رحيم... :

النوريات فى الشعر الأندلسى. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

ناصف، د. مصطفى... :

اللغة والتفسير والتواصل. صدر ضمن سلسلة علم المعرفة الكويتية تحت رقم ١٩٣، ط١، ١٤١٥ هـ.

الهرامة، عبد الحميد عبد الله... :

الأعمى التطيلى ـ حياته وأدبه. المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط١، ١٣٩٢ هـ.

هونكة، زيغريد... :

شمس العرب تسطع على الغرب ـ أثر الحضارة العربية فى أوروبة. نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقى. صدر عن دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٨، ١٤٠٦هـ.

هيكل، د. أحمد... :

الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقط الخلافة. دار المعارف، مصر، ط٨، ١٩٨٢م.

ثانيا: البحوث

أولا: بحوث ألقيت فى ندوة الأندلس: قـرون من التقلبات والعطاءات) والتى عقدت خلال الفـترة من ١٥ ـ ١٩ جمادى الأولى ١٤١٤هـ فى رحاب (مكتـبة الملك عبد الـعزيز العامة بالرياض)، وقـد أفاد منها الباحث، وعادلها وأشار إلى بـعضها فى الهامش، وقد رتبت هنا حسب ترتيب عائلة الباحث الأبجدى:

(١) **أحمد**، محمد مرزوق... :

التجربة الأندلسية الموريسكية، محاولة فحص من الداخل.

(٢) **التبينى**، د. عياد... :

الدارس النحوى فى الأندلـس فى القرن الخامس الهـجرى ـ النزوع إلى تأكيد الذات على الأندلسية.

(٣) **ثقفان**، د. عبد الله... :

ظاهرة الانتماء فى الأدب الأندلسى ـ أنموذج فريد.

(٤) **حميدة**، د. عبد الرحمن محمد... :

إنجازات علماء الأندلس فى ميدان الجغرافيا.

(٥) **الخانجى**، د. عبد الرحمن... :

أثر فـتنة قرطبـة على المرتكزات النـفسـية والأخـلاقـية لابن حـزم الأندلسى فى كتابه طوق الحمامة.

(٦) **رحمون**، د. الحسين العربى... :

أدباء الأندلس: إسهاماتهم وتأثيرهم فى الحركة الأدبية العربية خلال القرن السابع والثامن الهجريين.

(٧) **شرف، د. حسين محمد...** :

معاجم الأفعال: جهود أندلسية رائدة وعلامة بارزة فى صرح الثقافة الإسلامية.

(٨) **ابن شريفه، د. محمد...** :

هاجس العودة إلى الأندلس.

(٩) **العسرى، د. محمد عبد الواحد...** :

الفكر الإسلامى بالأندلس فى تصورات الاستشراق الإسبانى الحديث ـ ملاحظات واقتراحات.

(١٠) **الكتانى، د. محمد بن عبد الملك...** :

إسهام علماء الأندلس فى تأصيل الفكر الإسلامى ـ ابن حزم أنموذجا.

(١١) **الكمون، د. أحمد عبد الرحمن...** :

التراث الإسلامى الأندلسى فى ميزان الاستشراق الأسبانى المعاصر ـ نماذج مختارة.

(١٢) **الهروط، د. على خلف...** :

إسهامات وجود اللغويين الأندلسيين وجهودهم فى رفد الثقافة العربية الإسلامية.

(١٣) **الوراكلى، د. حسن عبد الكريم...** :

التراث الأندلسى.. ومسألة الوحدة.

ثانيا: بحوث أخرى:

(١) **ثقفان، د. عبد الله...** :

الشكوى من العلة فى أدب الأندلسيين.